روايات عبير الجديدة

مرغريت مايو

أتذكرينني؟ أنا لم أنسك

www.elromancia.com

مرمورية ٢٧٥

أتذكرينني؟ أنا لم أنسك!

مارغريت مايو

ريتا غاضبة جداً والدها تزوج من أمرأة تدعى فيفيان ولم يدعها لحضور زفافه.

في الطائرة المروحية التي أقلتها إلى جزر سيلي، حيث يقيم العريسان، تفاجأت الفتاة بماتيوس فانسنت، ذلك الشاب الذي احبته من قلبها والذي تخلى عنها ليتزوج من امرأة اخرى... تأمل ريتا طويلاً وهمس بصوته العذب.

«أتذكرينني؟ أنا لم أنسك ابداً، سنلتقي كثيراً من اليوم وصاعداً...».

www.elromancia.com

- ١ -

كانت ريتا تستعد للذهاب إلى علمها عندما وصلتها رسالة قلبت حياتها رأساً على عقب.

منذ شهرين ووالدها يكتب لها اسبوعياً. ورسائله في غالبها مرحة يكتب لها فيها عن جمال جزر سيلي حيث يقيم لبعض الوقت ويقوم بابحاث من اجل كتابه الجديد. منذ وفاة زوجته والرجل المسكين يكرس وقته لعمله. عزلته هذه قربته من ريتا ابنته الوحيدة. لكنها لم تكن تجهل انها لن تتمكن إلى الابد ان تملأ وحدها الفراغ الكبير الذي تركته والدتها.

في المدة الاخيرة، كانت تشعر بانه مرح جداً ويرغب بالتمتع بالحياة. كان يجب ان تشك بأن حدثاً مميزاً سيطرأ

على حياته. وكيف لم تكن تتوقع أن والدها سيتزوج مرة ثانية؟ فهو شاب نسبياً، وسيم الطلعة رغم ظهور بعض شعرات الشيب في سالفيه. لم تكن ريتا تتخيل أن يرتبط والدها بامرأة أخرى. حتى انهما لم يدعواها لحضور الزفاف! وهذا التسرع الذي لا مبرر له اثر كثيراً على الفتاة.

فالزوجان هما في زواجهما الثاني، فلماذا اذاً لم ينتظر اكثر؟ بدون ادنى شك، فيفيان هي المسؤولة وهي التي سرعت الامور... فباتريك كولدينغ رجل مناسب، يعيش حياة كريمة من عائدات كتبه التي يبيعها، ويتمتع بشهرة كبيرة في الأوساط الأدبية. وها هو في رسالته يقترح على ابنته ان تترك لندن لتعيش مع زوجته الجديدة التي كرهتها قبل ان تتعرف عليها، في جزيرة الستار حيث يريد الاستقرار نهائياً يرغب، كما يقول في رسالته، ببيع منزله في ريدنغ حيث تسكن ريتا حالياً. كيف تترك هذه المدينة واصدقاءها وعملها؟ لا، انه يطلب منها المستحيل. بامكانه ان يبيع منزله! ستجد بالتأكيد شقة تستأجرها ولكنها لن تغادر ريدنغ مدينة طفولتها.

تنهدت وهي تشعر بحقد على فيفيان التي سرعت امر زواجها من والدها. تناولت ورقة وقلما بيد مرتجفة وكتبت رسالة موجزة بيد مرتجفة: «خبر زواجك فاجأني، لا افهم سبب تسرعكما. آسفة، لكنني لا ارغب ابداً بالعيش في جزر سيلي. سأجد شقة استأجرها هنا بعد بيع المنزل».

بالتأكيد كان يجب ان تكتب كلمة تهنئة، لكن ألم قلبها

كبير. بعد العلاقة المتينة التي كانت تربطها بوالدها، باتت تشعر انها لم يعد لها اية أهمية في حياته، والا لماذا لم يدعها لحضور زفافه؟

بعد ثلاثة ايام، اتصل بها والدها وكان صوته يدل على قلق كبير:

- «ريتا يا عزيزتي، استلمت رسالتك منذ قليل، كنت اعتبر خبر زواجي سيسعدك».

- «اذا كنت انت سعيد، فأنا ايضاً سعيدة». اجابته بأدب.

- «اريدك أن تتعرفي على فيفيان، انا متأكد انك ستحبينها».

- «كنت اتمنى لو انك أطلعتني على مشاريعك قبل ذلك». قالت بمرارة.

- «حتى لو كنت لا ترغب بحضوري زفافكما، كان بامكانك ان تخبرني على الأقل».

- «عزيزتي، اذا لم أفعل، فذلك كي اجنبك صعوبات ترك عملك. وفيفيان...»

«... لم تكن تريد الانتظار».

- «عزيزتي، افهم ان خبر زواجي فاجأك، ولكن صدقيني، فيفيان وانا نحب بعضنا ونعيش سعيدين معاً. لم اكن اتخيل انني سأحب امرأة غير والدتك، لكن الحياة تخبىء لنا احيانا مفاجآت انا متأكد انك ستحبين فيفيان...»

- «توقف عن تكرار هذا». قاطعته ريتا بجفاف. «اذا لم

يكن لديك مانع، سأحدد رأيي الشخصي بزوجة ابي عندما اتعرف عليها».

- «لهذا السبب أريدك ان تأتي. فمنزل فيفيان كبير وجميل، اتمنى ان تعيشي معنا، اتصلت بمكتب عقاري لبيع منزلنا في ريدنغ، يكفي ان تقدمي استقالتك وتحزمي حقائبك بسرعة».

احست ريتا امام الحاح والدها بالضعف، لكنها حاولت ان تقوم بمحاولة أخرى.

- «انا اصبحت راشدة واعرف ماذا اريد ان افعل. لا يمكنك ارغامي على الانضمام اليكما».

- «انا لا اجبرك، يا عزيزتي!» صرح والدها بحزن «احبك كثيراً، وزواجي لم يغير شيئا عن حناني لك. لهذا ارغب ان تعيشي معنا».

عندئذ استسلمت ريتا. كانت قد فهمت انها ستخضع له ما إن سمعت صوته على الهاتف.

الاسبوع التالي وبسرعة كبيرة حان موعد سفرها. وهي تقفل لاخر مرة باب المنزل الذي تحبه، احست بقلبها يتمزق من الألم. مستقبل غير اكيد ينتظرها...

السفر بالقطار حتى بنزانس بدا لها طويلا. شعرت بالتعب والتوتر وبعدم الاطمئنان وهي تصعد إلى الطائرة المروحية التي تؤمن المواصلات مع جزر سيلي. ولكنها على القدر بعد الاقلاع، نسيت قلقها واخذت تنظر من الشباك.

صوت الى جانبها سحبها فجأة من افكارها:

- «صباح الخير ريتا، ما هذه المفاجأة اللطيفة!».

التفتت إلى يمينها لتجد نفسها وجها لوجه امام ماتيوس فنسنت.

على الفور، اجتاحتها ذكريات أليمة بينما احمر وجهها رغما عنها. ستة اعوام مرت، كانت خلالها تحاول ان تمحي من ذهنها وجه هذا الرجل الذي التقت به في حفلة ساهرة وكانت في السادسة عشرة فقط من العمر. كانت على الفور قد احست نحوه بجاذبية لا يفسرها سوى صغر سنها في ذلك الوقت. عاشت بضعة اسابيع بسعادة لا توصف. لم يكونا يفترقان وريتا لم تكن تصغي لنصائح اصدقائها الذين يحاولون اقناعها بأن ماتيوس سيتخلى عنها.

ذات يوم، بالفعل، اختفى ولم يترك اثراً خلفه. خلال اسابيع واشهر، انتظرت امام الهاتف وصندوق البريد علها تسمع كلمة تشرح سبب هذا الاختفاء المفاجيء. مضت الشهور الطويلة، وتعبت ريتا من الامل سدى، فقررت ان تمحي ماتيوس من ذاكرتها.

- «انت تذكرينني جيداً، على ما يبدو». قال الرجل بصوت هامس.

- «هذا صحيح»، اجابته الفتاة بجفاف. «ولكن لا تستخلص استنتاجات على هواك. تصرفك نحوي كان مخزياً، وانا لا ارغب بالكلام معك ابداً».

- «نعم ريتا، انا رحلت دون ان اعطيك اية تفسيرات. ولكني اليوم، استطيع...»

- «ارجوك». قاطعته باحتقار. «وقت الاعتذارات ولى ومضى. كل شيء انتهى بيننا واصبح في النسيان، هذا على الأقل من طرفي انا».

- «حسنا، ولكن ليس بالنسبة لي. انا لم أكف عن التفكير بك... انا...»

- «توقف، مات. ودعني بسلام. ليس لدينا ما نقوله». وادارت وجهها نحو الشباك تحاول ان تسيطر على انفعالاتها. بعد مات، لم يكن هناك رجل آخر في حياتها. بالتأكيد لم يكن ينقصها رفقة الشبان، لكنها لم تشعر مع اي واحد منهم بتلك المشاعر التي عرفتها مع مات. كانت لسذاجتها تعتبرها مشاعر الحب. الحب البريء الذي كانت تضن انه متبادل... آه كم كانت غبية!

- «ريتا...»

صوته العميق جعلها تنتفض. عندما كان مات يكلمها هكذا في الماضي، كان يحصل دائما على ما يريده منها.

- «ريتا انت لم تنسي ما حصل بيننا. انت تكذبين، اعلم ذلك!»

- «دعني، اريد ان اتأمل المناظر بهدوء...»

- «انت لا تعرفين الجزر اذاً؟ انظري لقد بدأت بالظهور». وامسك يدها «ريتا يجب ان اراك لاقول لك اشياء كثيرة... انت باجازة هنا؟ تسكنين وحدك او مع اصدقاء؟»

- «اسكن عند اهلي». اجابته بحدة وهي تسحب يدها من يده باشمئزاز. «ولكن لا تحاول الاتصال بي، مات.

اكرر لك كل شيء انتهى بيننا».

- «كم تغيرتِ، ريتا. لماذا كل هذا التغير؟»

- «ماتيوس فنسنت، اكرر لك مرة اخيرة: دعني بسلام لا اريد رؤيتك. أهذا واضح أم انك ترفض قبول الواقع؟ كنت في ذلك الوقت فتاة مسكينة غبية عاجزة عن السيطرة على حبها الأول. كنت ساذجة، لكنني اليوم تغيرت كثيراً. انت لم تحطم قلبي الى الابد كما اعتقدت انا عندما علمت بخبر زواجك».

ظل صامتاً للحظات وقد شحب لونه.

- «كنت اجهل انك على علم...»

- «الخبر انتشر في كل المدينة». قالت بمرارة. «وهذا ما اثار شفقة كل اصدقائي... بعد رحيلك، ادركت بسرعة ان مشاعري نحوك لم تكن حباً، لكنها فقط حلم فتاة مراهقة رومانسية».

- «والآن، الفتاة المراهقة اصبحت ناضجة، اصبحت امرأة رائعة»

قال مات وهو ينظر اليها باعجاب. «لا ازال ارغب بك كما كنت في السادسة عشرة من عمرك. اوه، لو تعلمين كم انا نادم لأني تصرفت هكذا معك!...»

- «اذاً انت تغيرت كثيراً. مات الذي كنت اعرفه لم يكن يندم على شيء. كان واثقاً جداً من نفسه».

- «تغيرت جسدياً، بدون شك». قال بمرارة «الحياة لم تكن سهلة بالنسبة لي في السنوات الأخيرة. ولكني في الأعماق لا ازال انا نفسي، وما كنت أكنه لك لم يتغير

ابداً».

- «حقاً؟ انت تدهشني، ولكننا وصلنا، هل تسمح لي بالنزول؟»

- «اعطني عنوانك، ارجوك... لا يمكنك ان ترفضي!»

- «اسكن في جزيرة ستار». والآن، اسمح لي بالمرور لو سمحت.

ودون ان تلاحظ الدهشة الكبيرة التي ارتسمت على وجه مات، نهضت وتناولت حقائبها. شعرت براحة كبيرة لأن مات لم يلح اكثر على رؤيتها من جديد. على كل حال، انه متزوج، وحتى ولو كان لا يزال يربكها، فالافضل أن تنساه كما كانت تحاول طوال كل هذه السنوات. نظرت إليه يبتعد بقامته الطويلة. لا يزال وسيماً وجذاباً. ماذا يفعل في الحياة؟

في فترة لقائهما كان لا يزال طالباً في سنته الجامعية الأخيرة. يبدو الآن انه اصبح رجل اعمال لامع، نظراته ومشيته تدل على النجاح.

حاولت ريتا ان تطرده من فكرها وهي تبحث عن والدها بين الأشخاص القليلين الذين في المطار. بعد قائق، ادركت ان باتريك نولدينغ لم يأت لانتظار ابنته ولم يرسل احداً لاستقبالها. كيف ستصل الى جزيرة ستار التي تجهل موقعها». احست ريتا بالوحدة وهي تحمل حقيبتيها الكبيرتين وتتجه الى مكتب الاستعلامات. كانت خيبتها كبيرة عندما علمت انه يجب عليها ان تستقل الباص حتى هَيغ تون هناك تستأجر مركبا الى جزيرة ستار.

جرت حقيبتها حتى موقف الباص، انتظرت قليلاً وهي تشعر بالندم لأنها اطاعت والدها الذي لم يفكر بانتظارها. فجأة، سمعت صوتاً تعرفه جيداً جعلها ترتعش.

- «الديك مشكلة؟»

انه مات يتأملها بابتسامة ساخرة.

- «كنت اعتقد انني رأيتك ترحل». اجابته بجفاف. «أكنت تتجسس علي؟ تحاول أن تتبعني؟»

- «بالتأكيد لا، عزيزي ريتا. فأنت كلمتني بطريقة لا تسمح بأي أمل بيننا».

- «اذاً لماذا لا تزال على طريقي؟» سألته بتحد.

- «هذا ليس مهماً، المهم انني هنا مستعد لتقديم خدمة لك اذا كنت ترغبين».

- «لست بحاجة لمساعدتك». اجابته بحدة لكنها فكرت فجأة، انها ليست بوضع مريح». بالفعل، السفر اتعبني ولا اجرؤ على انتظار الباص وقتاً اطول. اذا كان لديك سيارة، أوصلني الى هيغ تون سأكون ممتنة لك».

- «اخشى انك لن تجدي سيارة خاصة على هذه الجزر. اقترح عليك اذاً أن نشرب الشاي بانتظار وصول الباص. في هيغ تون، لدي مركب، وبامكاني أن اوصلك حتى جزيرة ستار».

- «بالتأكيد لا!» صرخت ريتا محاولت اخفاء ارتباكها. «لا أريد ازعاجك، ولا ارغب بشرب الشاي».

- «أما أنا فبلى». قال وقد عقد حاجبيه فجأة «وبما انني لا احب أن أكون وحيداً فستأتين معي». ثم حمل

الحقيبتين واتجه نحو المقهى الذي في زاوية الشارع. عندما رأى ان ريتا لم تتحرك من مكانها، ترك الحقيبتين على الرصيف وعاد وامسك يدها واجبرها على ان تتبعه.

- «ما بك ماتيوس؟ لم تكن تتصرف هكذا في الماضي!».

- «في الماضي، لم تكوني تعارضينني. واذا استمريت على هذا النحو، ستكشفين وجوهاً اخرى لشخصيتي، ستدهشك بدون شك».

احمر وجه ريتا. آه، كم كانت مطيعة مع مات في تلك الفترة التي كانت تعتقد فيها انه يحبها. كانت مستعدة دائما للموافقة على كل ما يقول وتقفز بحماس عند اقل اشارة منه! حسناً، سيكتشف انها لم تعد تلك الأوزة البيضاء الخاضعة. انها تعرف الآن ماذا تريد ولا تنوي ابداً ان تتركه يؤثر عليها.

- «دعني!» صرخت وهي تتخلص من قبضة يده. «انا لن اهرب».

- «مع ان منظرك يدل على ذلك، الا انني اتقبلك». قال بسخرية وترك ذراعها.

وجد ماتيوس طاولة فارغة في المقهى. فترك ريتا واتجه نحو الكونتوار: استغلت ريتا الفرصة لتتأمله: في ضوء شمس المغيب، شعره الكستنائي يبدو ذهبياً تقريباً وجلده البرونزي يبدو نحاسياً. لا يزال نحيفاً كما في الماضي، لكن عضلاته اصبحت اقوى وتظهر عن تحت بدلته الانيقة. «قوي، مستبد واثق من رجولته». فكرت ريتا بمرارة. اذا

كان ينوي السيطرة عليها كما كان في الماضي فسيكتشف انه مخطيء.

عاد مات بعد قليل يحمل كوبين من الشاي الساخن المعطر وطبقاً من السندويشات. ريتا لم تضع شيئا في فمها منذ الصباح، اكتشفت كم هي جائعة واخذت تأكل بشهية متجاهلة وجوده.

- «أتنوين الاقامة طويلا على الجزر.

» سألها مات فجأة.

- «لست ادري حتى الآن، ربما أبقى حتى نهاية الصيف، وانت اتقيم هنا؟»

- «تقريباً، لكنني اقضي معظم وقتي في الجبال».

- «لاجل عملك.

ماذا تعمل بالتحديد؟ اذكر انك كنت تهتم بالحيوانات».

- «ولا ازال، واهتم خاصة بالطيور، جزر سيلي تضم عدداً كبيراً من انواع الطيور البحرية. جزيرة «أنيت» هي حالياً محمية للطيريات لا يسمح بزيارتها الا للمتخصصين. هناك ايضا مرصد سانت أغنيز الذي يسمح بالقيام بأبحاث اساسية حول مظاهر الهجرة. سأصطحبك لزيارته قبل رحيلك».

عقدت ريتا حاجبيها وهمت بالهجوم. لكنه دون ان يترك لها مجالا للاعتراض ضحك وقال:

- «لا تغضبي! اذكر انك قلت انك لا تريدين رؤيتي. لكن النساء دائما مزاجيات، ربما تغيرين رأيك. الان،

وصل الباص هيا بنا».

بعد قليل وصلوا الى هيغ تون، فقادها مات على الفور الى الرصيف حيث يرسو مركبه.

«التماريسك» مركب قوي فاخر شق البحر بسرعة كبيرة مع ان مات لم يكن يبدو مستعجلا للوصول الى جزيرة ستار. ريتا المضطربة، استندت على الدرابزين تتأمل الزبد الأبيض الذي يمزق البحر خلفها وطيور النورس تحوم فوق المركب مصدرة اصواتا حادة. دون ان تلتفت، احست بوجود ماتيوس بجانبها.

- «انا آسفة لتسببي لك بهذا الانزعاج. كان يجب علي ان استأجر مركبا من سانت ماريز».

- «لم اكن مستعداً لترك ريتا الرائعة وحدها». اجابها بابتسامة ماكرة.

- «اعترفي ان هذا لطف منك».

- «لطفك لم يمنعك مع ذلك من التصرف بحقارة عندما اختفيت بدون اية كلمة منذ سنوات».

- «لم اكن انا سيد الموقف في تلك الفترة. ذات يوم سأشرح لك كل شيء».

- «ولماذا لا تفعل الآن؟ تنتظر ان تجد اعذاراً جيدة؟ لا تتعب نفسك، لم يعد لهذا أية أهمية».

- «حقاً؟ قال وهو يضع يده على كتفها ليجبرها على النظر اليه. «لا اصدق...».

واحنى وجهه ببطء بحثا عن فمها. حاولت ريتا بغضب ان تتخلص منه. لكن مات ضمها اليه بحزم بينما فمه

الدافىء يطبق على فمها. على الفور احست ريتا بيقظة تلك المشاعر التي كانت تعتقد انها ماتت في أعماق كيانها للأبد، بينما كل جسدها يرغب بالاستجابة لعناق ماتيوس.

- «أوه»، تمتم بذاته. «تذكري كيف كنت تحبينني، كم كنت ترتعشين ما إن ألمسك...».

«يا الهي، ليتوقف!» صرخت بصمت. «لن استطيع مقاومته، دقيقة اخرى واستجيب لقبلته».

بفعل معجزة، توقف وابتعد وعاد الى المقود دون ان ينظر اليها.

رمت ريتا بنفسها على المقعد تحاول ان تستعيد انفاسها.

الحمد لله انها نجحت في تمالك نفسها. وان لم يشك بارتباكها وهذا ما يواسيها. لماذا تتأثر برجل حاولت طوال سنوات نسيانه؟ مات متزوج وتصرفاته حقيرة. تنهدت وادارت وجهها لترى انهما يقتربان من جزيرة صخرية يبدو انها غير مأهولة.

- «أهذه هي الجزيرة؟ سألته بدهشة.

- «نعم، سنصل بعد لحظات».

- «تبدو صغيرة وخالية...».

- «سترين انها كبيرة، القرية تقع في الجهة الاخرى».

دار المركب حول الجزيرة وتوقف امام مرفأ صغير، نظرت ريتا حولها واجتاحها قلق كبير.

«اعتقد انه بامكانك ان تتركني هنا»، قالت متلعثمة وهي ترى مات يحمل الحقيبتين. «كنت قد كتبت لهم انني قادمة

اليوم. اتمنى ان يأتوا للبحث عني ربما لم تصلهم رسالتي...».

- «لا تقلقي». اجابها مات ضاحكاً. لن اتركك وحيدة على الرصيف مع حقائبك».

ساعدها بالنزول وسبقها مع الحقيبتين. دهشت ريتا برؤيته يتقدم بدون اي تردد وكأنه يعرف المنطقة جيداً، ثم فهمت فجأة انه قام بابحاث حول الطيور في هذه الجزيرة كغيرها من الجزر. بعد قليل ظهرت القرية عند اسفل تلة كبيرة. انها قرية صغيرة تضم ما يقرب من ثلاثين بيتا ومدرسة وكنيسة وصيدلية وسوبر ماركت.

- «يجب ان اذهب إلى منزل الصخور». صرخت ريتا وهي تحاول ان تتبع مات.

- «كنت إشك بذلك». قال دون ان يلتفت نحوها «انه المنزل الوحيد الكبير في القرية ليستقبل ضيوفا».

توقف مات مرتين ليسلم على اناس يعرفهم جيداً ثم تابع طريقه صعوداً. بدأت ريتا تشعر بالم في قدميها وتتنفس بصعوبة. فجأة لمحت منزلاً كبيراً مبنياً فوق الصخور كأنه عش نسر. ليس من المدهش ان يطلقوا عليه اسم منزل الصخور. وليس من المدهش ان يفضل والدها الذي يحب العزلة والوحدة ان يبقى هنا ويترك لندن الصاخبة. خشيت ريتا ان لا تصل اليه ابداً بينما مات يتقدم بخفة وهو يحمل الحقيبتين وكأنه لا يشعر بأي تعب.

كان الباب الكبير مفتوحاً دون أي تردد، دخل مات ووضع الحقيبتين في المدخل. توقفت الفتاة بارتباك امام

الباب. لم تكن لتجرؤ على التقدم أكثر. عندما ميزت قامة والدها في البهو، بدون تفكير اسرعت ورمت نفسها بين ذراعيه.

- «عزيزتي!» قال السيد غولدينغ وهو يتأملها بانفعال كبير. «كم انا سعيد برؤيتك هنا! اذاً وجدك ماتيوس بدون اية صعوبة، على ما يبدو...»

www.elromancia.com

- ٢ -

على الفور ارتبكت ريتا ونقلت نظرها بين والدها ومات.

- «ماذا تقصد؟» سألت والدها وقد انقطعت انفاسها. «انا ومات التقينا صدفة، ورافقني الى هنا لأنه لم يكن يوجد احد لاستقبالي. ألم تتلقي رسالتي؟»

- «بالتأكيد». اجابها والدها بابتسامة حنان «لكني لم اذهب لاستقبالك لأن ماتيوس كان سيصل بنفس الطوافة، وبامكانه مرافقتك بسهولة حتى هنا».

- «لماذا اخفيت عني الحقيقة؟» سألت مات بلهجة حادة.

ابتسم الشاب بمكر ومد يده نحوها.

- «انا سعيد بتقديم لك ابن زوجة والدك». قال بمكر.

«لا، هذا مستحيل! ابي، ارجوك قل بانه يكذب!»

صرخت وغطت وجهها بيديها.

فكرة العيش مع مات تحت نفس السقف لا يمكنها تحملها.

- «عزيزتي، لماذا كل هذا العنف؟» سألها والدها وقد فاجأته ردة فعلها. «لم يشرح لك مات الوضع لأنه بدون شك كان يفضل ان يفعل ذلك بهدوء لدى وصولكما».

بالطبع، الوالد يجهل كل الآلام التي عاشتها ابنته منذ سنوات. فهي لم تكلمه عن فشلها العاطفي وقررت أن تتعذب بصمت.

- «ريتا متعبة». تدخل مات. «سنقدمها لوالدتي ثم ترتاح قليلاً».

- «بل افضل ان ارتاح اولاً قبل لقاء والدتك». اجابته ريتا بحدة.

- «كما تشائين يا ابنتي. ماتيوس، رافقها الى غرفتها، لو سمحت».

المنزل مؤلف من طابقين، وغرفة ريتا في الطابق العلوي. دخل مات قبلها ووضع الحقيبتين على الارض ثم جلس على حافة السرير.

- «لماذا اخفيت عني الحقيقة؟»

- «كنت اشك بردة فعلك». اعترف مبتسماً. «لكن لأكون صادقاً معك، لم افهم على الفور انك انت التي يجب علي اصطحابها الى الجزيرة. كنت سعيداً برؤيتك على متن الطوافة، لكنني لم اربط بين الأمور على الفور».

- «اتحاول ان تجعلني اعتقد انك لم تكن تعلم من أنا؟»

- «هذه هي الحقيقة. كنت بالأمس في اسكتلندا، عندما وصلتني برقية من والدتي تعلمني فيها انه يجب علي ان التقي بابنة باتريك اليوم في سانت ماريز. بالتأكيد انا اعرف والدك لانني حضرت زفافه. لكن اسم غولدينغ مشهور في انكلترا ولم افكر ولا للحظة بك. كما وانك في الماضي لم تقولي لي بأن والدك كاتب».

- «لأنك لم تكن مهتما بالتعرف على عائلتي. ولم تكن تتكلم عن عائلتك ايضا».

- «تذكري». همس بصوت دافىء. «في الماضي، كنا مشغولين كثيراً بالتعرف واحدنا على الآخر، ولم يكن لدينا وقت للاهتمام بالآخرين». قال وهو ينهض ويقترب منها ليداعب شعرها بهدوء:

«ستعتادين بسهولة على العيش معي تحت نفس السقف». وانحنى ليطبع على فمها قبلة خفيفة بالكاد شعرت بها، ومع ذلك، تراجعت بسرعة.

- «بالتأكيد لا، اذا استمريت بالتصرف على هذا النحو».

- «الى اللقاء بعد قليل، اتمنى ان يكون مزاجك تحسن، والا ستأخذ والدتي فكرة سيئة عن ابنة زوجها».

حاولت ريتا ان تهدأ وهي ترتب ملابسها في الخزانة ثم اخذت دوشاً طويلا وارتدت ثوباً من الحرير الابيض. أعجبتها غرفتها الواسعة باثاثها الجميل والمنظر الذي تطل عليه. تنهدت وابتعدت عن النافذة، قررت انه حان الوقت للقاء والدة ماتيوس رغم عدم رغبتها بالتعرف الى المرأة

التي احتلت مكان والدتها في حياة باتريك غولدينغ، والتي دفعته لبيع منزله.

لكن لا يمكنها تجنب هذا اللقاء مدة اطول. نزلت السلم ببطء وهي تتأمل المنزل الواسع الرائع. اذهلها هذا الديكور المتناسق فلم تنتبه واصطدمت عند اسفل السلم بشخص يصعد. امسكت الإمرأة ذراعها لتمنعها من السقوط.

انها امرأة طويلة جميلة شعرها قصير. كانت تضع مريولا فوق ثوبها الزهر الأنيق. ما إن استعادت توازنها حتى ابتسمت لها اعتقاداً منها انها امام مدبرة المنزل.

- «هل اعجبتك غرفتك؟»

- «اوه، انها رائعة!» قالت ريتا بحماس. «وكذلك المنزل والجزيرة. احسست انني في عالم آخر. فقط لو أن...» كانت تريد ان تضيف لو ان الظروف كانت مختلفة.

- «قال لي باتريك انك سترتاحين هنا، رغم العزلة. كما وانه كان قلقاً جداً عليك. واخيراً، مهما كان الامر، انا سعيدة جداً بقبولة العيش معنا».

نظرت اليها ريتا بدهشة وقد ظهرت لها الحقيقة واضحة.

- «انت فيفيان، بدون شك...»

لم تكن تتخيل ابداً ان تكون زوجة والدها بسيطة وبشوشة هكذا. كانت تتصورها جميلة جداً ومتصنعة تزوجت والدها من اجل مصلحة بحت. على الفور أحست ريتا بالراحة وبدأت دموع الفرح تسيل على خديها.

- «اوه، يا صغيرتي، انا آسفة!» قالت فيفيان وهي تضم الفتاة بين ذراعيها.

- «كنت اعتقد انك فهمت من اكون. انا دائماً هكذا: اتكلم ولا اترك مجالاً للآخرين».

للحقيقة، فيفيان تستحق ان يحبها والدها، فهي امرأة مشرقة جميلة ورقيقة. بالتأكيد، ستحب ريتا الحياة في هذه الجزيرة. النقطة السوداء الوحيدة هي مات، ولكن ربما يتغيب عن المنزل باستمرار...

- «مع الوقت سترين كم الحياة جميلة في هذه الجزيرة الهادئة».

- «اتعتقدين انه من السهل ايجاد عمل لي هنا؟» سألتها ريتا. «لا اظن انه يمكنني البقاء بدون عمل...»

- «اوه، سيكون لدينا متسع من الوقت لنهتم بكل هذا». اجابتها فيفيان ضاحكة.

- «اولا، يجب ان تستكشفي الجزر، مات سيكون دليلك».

- «انا اجيد التصرف وحدي». اجابتها ريتا بسرعة.

نظرت اليها السيدة فيفيان بدهشة:

- «انت عاتبة على ماتيوس لانه لم يشرح لك الحقيقة على الفور؟

اوه! سامحيه. لابد انه اراد ان يتسلى قليلاً. للحقيقة». اضافت بصوت منخفض «وجودك هنا سيكون جيداً بالنسبة له. لقد مر بتجربة محزنة مؤخراً، وانت ستساعدينه بدون شك على تخطيها. كما كنت اقول بالامس لباتريك،

انا...»

لكن ريتا لم تعد تصغي لها لانها بدأت تتخيل نوع تجربة ماتيوس. هل ترك زوجته كما تخلى منذ سنوات عن ريتا؟

- «هيا بنا الآن لننضم الى والدك». اقترحت فيفيان.

- «بالمناسبة، كيف سأناديك؟»

- «فيفيان فقط. الجميع ينادونني هكذا، حتى ماتيوس. هو وانا قريبان جداً من بعضنا، منذ... وفاة والده منذ سنة».

وامام دهشة ريتا اضافت:

«افهم صدمتك عندما سمعت بانني تزوجت مرة ثانية بسرعة. لكن والدك رجل رائع، ساعدني على اجتياز المرحلة الصعبة. اعتقد ان خبر زواجنا فاجأك... لكن باتريك كان متأكداً انك ستفهمين. والدك رجل مميز، بامكانك ان تفخري بنفسك كونك ابنته.

- «انا ايضا. مقتنعة بذلك». تمتمت ريتا بانفعال وهي تشد على يد فيفيان.

«للحقيقة، جرحني في البداية موقف والدي، لكنني الآن سعيدة جداً بمشاركته معك».

خلال الاسبوع التالي، ادركت ريتا مدى سعادة الزوجين الذين كانا لا يفترقان ويتركانها دائما وحدها. استغلت الفرصة لزيارة الجزيرة. اما ماتيوس، فكان كالشبح. يتغيب طوال اليوم، وبعد العشاء، عندما يجتمعون، كان يستولي تماما على اهتمام زوج والدته دون الاهتمام كثيراً بريتا.

هذا الموقف حيّر الفتاة وخاصة بعد المشهد الذي حصل بينهما على المركب يوم وصولها. ربما لا يريد لفت نظر والدته وزوجها. لكن ريتا اخذت تفكر به اكثر مما لو اظهر لها صداقة ومودة.

يوم الأحد، قررت ريتا ان تصعد حتى اعلى قمة في الجزيرة التي لم تزرها حتى الآن. الرحلة كانت صعبة أكثر مما كانت تتوقع. فالطريق وعرة، واضطرت ريتا لتتسلق الصخور العالية. عندما وصلت اخيراً إلى القمة، وقفت تتأمل المنظر الرائع الممتد أمامها. ثم تمددت على العشب واغمضت عينيها لتهدهدها زقزقة الطيور.

ساعدتها حرارة الشمس على الاسترخاء، فغفت. فجأة، احست بوجود شخص فاستيقظت. فتحت عينيها فرأت مات ممدداً على العشب على بُعد عدة امتار منها يتأملها بكسل. بأي حق يراقبها؟

- «انتبهي لضربات الشمس». قال ممازحاً «من المؤسف أن تحرق اشعة الشمس جلدك الجميل الناعم».

- «شكراً على النصيحة». اجابته بجفاف «بامكاني ان اهتم بنفسي».

- «الشمس حارة هنا اكثر مما يبدو عليها». قال وهو ينهض ويقترب منها. كان يرتدي بنطلون كحلي وقميص ازرق يسمح برؤية صدره البرونزي.

- «اهتم انت بشؤونك!» اجابت غاضبة. «ولكن ماذا تفعل هنا؟ «هل كنت تتبعني؟»

- «تماماً. رأيتك تتسلقين الجبل فتبعتك. أهذا

يزعجك؟» نهضت ريتا بدورها.

- «ولماذا يزعجني هذا؟ على كل حال، انت على جزيرتك، وانا لست سوى دخيلة»

- «هيا يا شقيقتي العزيزة، انت ايضا هنا على جزيرتك، مثلي تماماً».

- «انا لست شقيقتك!» صرخت غاضبة ولم يكن بامكانها ان تتحمل فكرة القرابة منه. ثم ا دارت ظهرها وابتعدت حتى حافة الجبل المنحدرة بشكل عمودي حتى البحر. المنظر الجميل جعلها تشعر اكثر بالوحدة والضياع بين الارض والسماء.

- «هل ستستمرين طويلا بلعب مسرحيتك هذه؟»

أخرجها صوت مات من ذهولها. كان قريبا جداً منها فجأة وبدون سبب منطقي، اخذ قلبها يدق بشكل جنوني، لكنها نجحت مع ذلك في النظر اليه بتحدٍ واحتقار:

- «لا ارغب بالتحدث معك».

- «ولكن بلى... انت تحاولين اقناع نفسك بانك تكرهينني، لكنك تعرفين جيداً ان هذا ليس صحيحاً. هيا»، أضاف وهو يضع يده على ذراعها.

- «تجرئي وادعي أن وجودي لا يؤثر بك! وبانك عندما اقبلك لا تشعرين بشيء! انا متأكد ان هذا ليس صحيحاً. اذاً لماذا تكذبين على نفسك؟»

كان يتكلم وينظر إلى عيونها. للحظة عادت بذكرياتها إلى الوراء. لكنها ابتعدت عنه بعنف وهربت راكضة.

- «انتبهي!» صرخ مات الذي ضاع صوته بسرعة في

البعيد. «ارجوك هذا خطير...»

لكن كان قد فات الاوان، وتعثرت ريتا بحفرة صغيرة تحت قدميها وسقطت رأسها اولاً. انزلقت، دارت ودارت على نفسها بسرعة غريبة خلال وقت بدا لها طويلا حتى سقطت وتسمرت مكانها: كانت قد علقت بصخرة من الغرانيت.

كانت لا تزال تسمع صوت مات، غير واضح، بعيد... لكن لا شيء يهمها الان، فهي هادئة ساكنة تنظر إلى السماء وكأنها معلقة على غيمة خفيفة.

لكن بعد لحظات قليلة رأت وجه مات القلق منحنياً فوقها.

- «ريتا، اتسمعينني؟ هل انت متألمة؟ صرخ لاهثاً.

- «قليلاً من الرضوض على ما اظن. دعني قليلاً ثم سيسير كل شيء على ما يرام».

- «سأحملك حتى المنزل» قال بحزم. «اخشى ان تكوني مصابة بكسور...»

ما إن حركت رأسها حتى احست بألم كبير. اغمضت عينيها وعلى الفور احست بذراعين قويين يحملانها. لم تحاول المقاومة. مات قوي ويحصل دائما على ما يريده... ولذيذ جداً ان تشعر بانها بين ذراعيه... وجسده الدافىء... نعم، انه محق، فهي تتأثر بوجوده... مات لا يزال حميلا وفاتناً... لكنه سبب لها الكثير من العذاب، لا، لن تسمح له بالبدء من جديد...

- «ريتا!» صرخ والدها الذي كان مع فيفيان على

الشرفة. «يا الهي! ماذا حصل؟ هل هي جريحة؟»

- «لا اعتقد ذلك». قال مات وهو يضعها عى الكنبة التي على الشرفة».

- «عزيزتي». تمتمت فيفيان وهي تنحني فوقها بلهفة الام.

- «لقد انزلقت قدمي». قالت ريتا وهي تنظر إلى مات بطرف عينها.

«كدت اقع في المنحدر لولا وجود صخرة اوقفتني». اشعر ببعض الرضوض، لكنني متأكدة انني سأتحسن غداً».

- «سأعد لك حماماً ساخناً، انه افضل علاج». قالت فيفيان ثم دخلت الى المنزل.

- «ريتا، قلة حذرك كادت تكلفك حياتك». قال والدها غاضباً.

«لولا وجود مات، لكنت بقيت هناك لساعات طويلة دون ان نعرف مكان وجودك!»

- «لا تضخم الامور ابي». اجابته ريتا بانزعاج.

- «على كل حال، لا اريدك ان تستمري بالتنزه وحدك». قال والدها بحزم. «من الآن وصاعداً، سيرافقك مات». ثم التفت نحو الشاب «ايزعجك هذا، مات؟»

- «على العكس!» قال مات بابتسامة النصر التي ايقظت كل غضب الفتاة.

«كنت من البداية سأقترح هذه الفكرة عليها، لكنني كنت اشعر بانها لا تحتمل ولا ترغب برفقتي. ربما كنت

مخطئاً».

اكتفت ريتا بالنظر إليه بحدة، لانه لا يمكنها اعلان عدائها له امام والدها.

ـ «بل انا كنت، اعتقد انك تحاول ان تتجنبني. لم أرك كثيراً منذ وصولي».

ـ «حسناً، كان سؤ تفاهم وانتهى». قال مات بلطف «غداً سيأصطحبك اذا أردت إلى جزيرة «أنيت». بامكاننا مراقبة الطيور، هذا اذا كنت بحالة جيدة، بالتأكيد».

ـ «لا تقلق، سأكون بخير، في اية ساعة سنرحل؟»

ـ «في الساعة التاسعة، ايناسبك هذا؟»

ـ «ولكنك عادة تذهب بوقت مبكر». تدخل باتريك.

ـ «بالفعل، لكنني لا اريد ان اجعل ابنتك العزيزة تغادر سريرها بساعة مبكرة...»

ـ «بامكاني النهوض باكراً» قاطعته ريتا «لا تغير برنامجك لأجلي».

ـ «حسناً» قال مات بسخرية «سنذهب في الساعة السابعة، انا عادة احضر فطوري بنفسي».

اقسمت ريتا على ان تستيقظ قبله وتعد بنفسها الفطور. لكنها في صباح اليوم التالي، استيقظت على يد قوية تربت على كتفها. عندما فتحت عينيها رأت وجه مات يبتسم لها. على الفور، استيقظت كلياً وسحبت الغطاء حتى ذنقها بحذر.

ـ «احضرت لك كوب شاي». الفطور في الأسفل اصبح جاهزاً. «هل انت متأكدة انك ترغبين بمرافقتي؟»

ـ «الا اذا كنت لا تريد ذلك».

ـ «على العكس! لا شيء يسعدني اكثر من فكرة قضاء يوم بكامله معك».

ثم ابتسم وغادر الغرفة.

كانت ريتا لا تزال تشعر بالألم في كل جسمها، لكن كبرياءها كان اقوى. ارتدت بنطلون جينز وقميص اخضر.

عندما نزلت إلى المطبخ، تفاجأت برؤية مائدة عامرة. ابتسم لها مات ودعاها للجلوس وتذوق الطعام.

ـ «انه لذيذ فعلا! لم اكن اعلم انك تجيدُ الطهي».

ـ «اوه، هذه ليست موهبتي الوحيدة». اجابها ضاحكاً صدقيني، ريتا، انا لا اشبه ذلك الشاب الذي كنت تعرفينه منذ خمسة أعوام».

ـ «بالفعل. اولاً، انت متزوج. بالمناسبة. حدثني عن زوجتك... لماذا ليست هنا معك؟»

على الفور تقلصت ملامح الشاب وفهمت ريتا انها لمست موضوعاً من الافضل ان لا تتطرأ إليه. لكنها منذ وصولها تشعر بأن هناك سراً في حياة مات. إلا أن فضولها كان أقوى.

ـ «هيا، مات، لماذا هذا الصمت حول موضوع زواجك؟ هل انفصلت عن زوجتك؟ على كل حال، هذا ليس جرماً. انها اشياء تحصل كل يوم».

ـ «كنت اعتقد ان فيفيان اخبرتك» اجابها مات بحزن «ماريا توفيت. عانت طويلا من مرض خبيث، تعذبت كثيراً لدرجة، حتى ولو كنت اشعر بالعار للكلام هكذا، وفاتها

كانت راحة. توفيت بعد وفاة والدي بقليل. انت تفهمين، اعتقد، لماذا لا ازال متأثراً. لكني لا اريد ازعاجك بمشاكلي الشخصية...»

- «ارجوك ان تعذرني. لم اكن اشك بالحقيقة المحزنة. انا آسفة من اجلك».

تناولا طعامهما بصمت، واخيراً ابتسم مات وقال:

- «يجب ان نسرع، حان وقت الرحيل».

بعد دقائق قليلة، كانا ينطلقان على متن التماريسك. كان النهار مشرقاً والسماء صافية والبحر هادىء. يبدو أن مات يقود المركب كما يقود سيارة عادية. مرا اولاً قرب جزيرة سانت ماريز ثم دارا حول جزيرة سانت أغني.

- «هنا يوجد مرصد الطيور. احب ان اريك اياه ذات يوم». شرح لها مات.

لم تكن ريتا تهوى الطيور ولم تكن قادرة على التمييز بين انواعها، وهذه النزهة لا تستهويها. فهي لم تقبل عرض مات الا لإسعاد والدها. جزيرة أنيت كانت تقع في آخر قناة تكثر تياراتها. لاحظت ريتا ان البحر ليس هادئاً حولهما واحست بالخوف. كما وان المرسى الطبيعي لم يكن هادئاً، ومع ذلك، تمكن مات من ارساء المركب بسيطرة تامة. قفزاولاً إلى اليابسة وساعد الفتاة على النزول.

انها جزيرة صغيرة يبدو انه لا ينبت فيها سوى «الغمون». السماء فوقها تضج بصراخ الطيوز البحرية. احست ريتا بان الاف العيون المتوحشة تتجسس عليها.

- «لا تخافي!» قال لها مات بمرح «ستعتادين بسرعة.

هذا لا يعتبر شيئاً بالمقارنة مع موسم التكاثر. الضجيج يصبح لا يطاق. كما وانه يُمنع زيارة الجزيرة في تلك الفترة من العام ولعدة اسابيع. الجزيرة هذه ليست سوى ساحة معركة مليئة بجيف الطيور. والرائحة كما تلاحظين لا تطاق تقريباً».

- «المكان لا يعجبني ابداً».

- انها مسألة عادة» قال وهو يمسك يدها ليقودها الى الامام.

«عندما تتعرفين اكثر على عالم الطيور. ستهتمين بها. انها حيوانات مثيرة».

- «ربما انت على حق، لكن هذه الحيوانات لا تثيرني ابداً». وسحبت يدها من يده واضافت: «يسرني التعرف على هذه الجزيرة لانها تجربة جدية، لكني لا اعتقد انني سأزورها مرة ثانية».

التفتت نحو البطات فرأتها تنظر اليها بفضول بعيونها الصغيرة المائلة للحمرة. ابتسمت ريتا رغماً عنها.

- «انها صغيرة جداً». قالت بدون حماس.

- «صغيرة! هذا كل ما يمكنك قوله! ولكنها طيور ذكية وجميلة! يجب ان تريها عندما تطعم صغارها. تحمل في منقارها خمسة أو ستة حلازين وتطير بها دون ان تترك احداها تقع».

تقدم إلى الامام وتبعته ريتا. كان المكان يعج بانواع كثيرة من الطيور البحرية التي تضفي على المكان طابعاً فريداً. رغما عنها، احست ريتا بفضولها يستيقظ.

- «ما هذا؟» سألته مشيرة نحو طائر غريب يقف على صخرة صغيرة.

- «انه الغاق. يجفف جناحيه، لانه على عكس بقية الطيور البحرية، ريشه لا يحميه كفاية في الماء. انظري إلى هذه الغاقات الصغيرة التي تتناقش بحدة».

ابتسمت ريتا.

- «وتلك التي على جزع الشجرة... أهي من نفس النوع؟»

- «انها من نفس الفصيلة، تسمى غربان البحر».

خلال ساعة من الزمن، تابع الحديث عن مميزات وعادات الانواع المختلفة من الطيور البحرية، معلوماته عن هذا الموضوع عميقة جداً وطريقته في الشرح شيقة

كانا يجلسان على بساط من الغمون اليابس. ريتا تستمع اليه باهتمام، حتى اللحظة التي اراد فيها أن يشرح لها احتفال زواج بعض طيور النورس فحك خده بخدها. عندئذ نهضت بسرعة:

- «لا ضرورة لتأكيد الكلام بالحركات. افهم جيداً ما تشرحه لي.

نهض مات بدوره ونظر مباشرة في عينيها.

- «لا تكوني دائما هجومية. دعي نفسك على طبيعتها. ربما هذا من اجل سعادتك».

- «ألهذا السبب أصريت على اصطحابي إلى هنا؟» سألته بتحد. «تريد ان تقنعني انني لا ازال احبك. انت مخطىء تماماً. تركت نفسي أخدع في الماضي، لكنك لن

تخدعني مرة ثانية، ولن اثق بك من جديد».

- «حقاً؟» سألها بسخرية.

- «انت حر في ان تصدقني ام لا! بالنسبة لي، علاقة صداقة عادية تكفيني».

- «أهذا حقاً كل ما تتمنينه؟»

- «تماماً. ولا ارغب بشيء آخر...»

قطعت كلامها لأن مات ضمها بين ذراعيه بسرعة.

- «لنرى اذا كنت صادقة». تمتم وهو يطبق فمه على فمها.

حاولت ان تتخلص منه لكن بدون جدوى. كان يمسك بها جيداً ويقبلها بتلك الحرارة التي تعرفها جيداً. نجحت بالبقاء سلبية بين ذراعيه، رغم الرغبة الحارقة التي تتولد في كيانها والتي كانت تعتقد انها ماتت للأبد. فجأة، واحساساً منها بالعار في ضعفها، انتفضت غاضبة وتخلصت منه وبثورة غضبها، صفعته بقوة على وجهه.

لمس مات خده بذهول ثم قست عيناه. لم تصغي ريتا عندئذ الا لغريزتها وهربت بسرعة دون ان تهتم بالطيور التي هربت منها وطارت نحو السماء.

كالامس، سمعت بالكاد صراخ مات الذي يطلب منها الانتباه لأن الأرض والصخور مليئة بالحفر التي تتخذها الطيور اعشاشاً لها. لكن ريتا لم تهتم بتحذيره. كان كل ما ترغب به هو الابتعاد عن مات. وقع الحادث بشكل مفاجىء فلم تفهم ما حصل. طارت على سرير من الغمون اليابس لتسقط على طولها ووجهها على الارض. يا إلهي،

لا يمكن لنفس الحادث ان يتكرر في يومين متواليين! كان احساسها بالذل اكبر من احساسها بالالم. حاولت ان ترفع قدمها العالقة في الحفرة وتجلس قبل وصول مات.

ـ «كم انا غبية» تمتمت وهي تراه يسرع نحوها «لا بد انك تعتبرني الفتاة الأكثر غباءً في الوجود!»

حاولت النهوض، احست بألم كبير في ساقها وفقدت وعيها، عندما فتحت عينيها، وجدت نفسها ممددة في المركز ومات يجلس على ركبتيه بجانبها يدلك ساقها.

ـ «متى ستتعلمين ان الهرب لا يفيد؟»

ـ «وانت متى ستفهم انني لا اهتم بنصائحك؟» سألته بحدة وحاولت النهوض لكنه منعها.

ـ «لا تلمسني».

ـ «هذا لم يكن يزعجك في الماضي. اتريدينني ان اصدق ان مغامرتنا لم تكن بالنسبة لك سوى تمثيلية؟»

ـ «بالنسبة لك، اعلم ان هذه المغامرة كانت بدون نتائج». قالت بمرارة. وانك فيما بعد لم تفكر بي ابداً. لكنني من جهتي، كي اكتشف حقيقتك، اضطررت لدفع ثمن كبير. لا انوي ابداً ارتكاب نفس الغلطة مرتين».

ـ «انا آسف لانك تكوّنين عني رأياً سيئاً». قال وهو يتابع لف ساقها بقطعة قماش.

بدأت الفتاة تفقد صبرها وهي تحاول تناسي ألمها.

ـ «ألم تنتهي بعد؟»

ـ «لماذا؟» سألها بابتسامة ماكرة. «الا اذا كنت لا تحبين أن أضع يدي عليك. في الماضي، لم تكوني تكرهين

هذا».

احمر وجه الفتاة بينما عادت اليها الذكريات. كم كانت مطيعة له في الماضي، كلما كان يقبلها او يمسكها بين ذراعيه. كانت تعيش فقط من اجله، ومن اجل اللحظات التي يقضيانها معاً.

الآن، تغيرت الأمور، لن تسمح له بالتأثير عليها.

ـ «أتخافين مني؟ ام تخافين من نفسك؟ تخشين ان تستيقظ كل انفعالاتك الدفينة؟»

ـ «انت تمزح!» صرخت غاضبة. «اية انفعالات؟ حتى ولو كنت آخر رجل على وجه الارض، لن تنجح بارباكي!»

نظر اليها نظرة جعلتها ترتجف. ثم انحنى فوقها وقال بهدوء:

ـ «ساجعلك تندمين على هذه الكلمات».

«ابداً» صرخت وهي تدير وجهها لتتخلص منه. «لن تجعلني استسلم لك ابداً».

لكنها سرعان ما احست بفم مات يطبق على فمها بكل رقة هذه المرة، محاولاً اثارة مشاعرها واشعالها. بجهد كبير، نجحت في التظاهر باللامبالاة، بينما كل كيانها يصرخ ويدعوها للذوبان بين ذراعي مات الذي يُنزه شفتيه الان على عنقها. فجاة، وبدون وعي منها، عقدت يديها خلف عنقه وضمته اليها. لا، لم تعد تملك قوة على المقاومة! فاستسلمت لقبلته الحارة.

لكن وبعنف، ابتعد مات عنها وحدّق بها بنظرة الانتظار

في عينيه.

- «ماذا كنت تقولين منذ قليل، عن آخر رجل في الوجود؟»

خنقت الفتاة دموع غضبها وادارت وجهها نحو الشاطىء بينما جسدها لا يزال يرتجف ويشعر بعناق مات.

بعد لحظات، فهمت من هدير المحرك انها اصبحت اخيراً وحدها في الغرفة.

نجحت في الجلوس على السرير الصغير وظلت دقائق طويلة بدون حراك، نظراتها تائهة في العدم. يا الهي! لم تكره مات فنسنت! لن تنسى ابداً نظرات الانتصار في عينيه! من الان وصاعداً، لن تقوى على مواجهته، لانه فهم قدرته عليها وعلى احاسيسها وسيستغل هذا الامر كل مرة... يا للعار، يا للذل بعد ان عرف بضعفها امامه!

شيئاً فشيئاً، تظاهرت ببرودة الاعصاب، يجب ان تثبت لمات ان هذا المشهد لم يؤثر بها، ويجب أن تبقي رأسها مرفوعاً وتتصرف كأن شيأ لم يكن. لكنه في اللحظة التي همت بها بالخروج من الغرفة، ناداها:

- «ألن تنضمي إلي على المتن؟ اتخافين من النظر إلي؟»

قررت ريتا ان تثبت له العكس، فرفعت رأسها بتحدٍ وخرجت من الغرفة. عندما وصلت إلى الأعلى، ارغمت نفسها على النظر مباشرة إلى عينيه بانتظار ان ترى بريق النصر فيهما. لكنه رمقها بنظرة باردة وبعيدة لا تدل على أي شعور. ودهشت عندما سمعته يقول فيما بعد:

- «الآن، وقد بتنا نعلم حقيقتنا، ربما تصبح الامور اكثر سهولة فيما بيننا».

- «دعني بسلام!» صرخت بحدة بينما اشتعلت عيناها من الغضب.

- «لا تخشي شيئاً» اجابها بسخرية «انا لا انوي أن ألمسك مجدداً. ليس الآن، على كل حال. اريد ان اترك كل الوقت للتفكير بما حصل بيننا».

- «لست بحاجة للتفكير». اجابته بحزم «انا اعرف مشاعري، ولن يغير ما تقوله او تفعله شيئاً».

ثم دارت وجهها لتتأمل البحر، لكن ابتسامة مات الماكرة لم تغب عنها. بالتأكيد لا يصدقها. كما وان ما حصل منذ قليل يريحه ويجعله يعتقد أن ريتا ستقع من جديد في حبه، عاجلاً أم آجلاً، وبعد أن يمل منها يهجرها كما فعل من قبل. لا، لن تقع في نفس الفخ مرة ثانية. من الآن وصاعداً، مهما هاجمها مات ستقاومه فيضطر مع الوقت للخضوع للواقع: ريتا لا تحبه ولم تكن تحبه يوماً.

هذا المسا، وقبل ان تنام، أخذت قراراً بأن تجد عملا وبأسرع وقت ممكن، كي لا تقضي وقتا طويلا برفقة مات. فحتى ولو كان يقضي معظم النهار خارج المنزل، فهي تعلم بان والدها سيلح كي ترافقه في جولاته لمراقبة الطيور البرية. لكن المشهد الذي حصل اليوم، لن يتكرر ابداً.

لم يكن من السهل عليها أن تشرح لوالدها كيف لوت كاحلها. مستحيل ان تخبره بالحقيقة. وهكذا اضطرت لاختراع عذر آخر بينما مات يراقبها بابتسامة ساخرة. اما

فيفيان فقد اسرعت لتنزع الرباط الذي لفه ابنها حول قدم الفتاة واستبدلته بضمادة رطبة. فارتاحت ريتا على الفور، وفي المساء، وبعد ان خف الألم، اخذت تفكر بالبحث عن عمل. اين ستجد عملا؟ بالتأكيد ليس في جزيرة الستار، غداً ستكلم والدها بالامر.

قبل ان يغلبها النعاس، خطرت فكرة في رأسها: كي تذهب إلى عملها، ستحتاج إلى مركب طالما انه لا يوجد مركب للركاب منتظم في الستار. اذا يجب على احد ان يرافقها كل يوم إلى مكان عملها، الا اذا تعلمت قيادة المركب بنفسها، فتستعيد مركب والدها. لا مجال لأن تستعير التامريسك: اولا لأن مات يستعمله تقريباً طوال الوقت، كما وان ريتا ترفض ان تدين له بأي شيء.

رغم ألم كاحلها، استحمت في الصباح ونزلت لتنضم الى والدها على الشرفة. كان يحمل قلما ويكتب على اوراقه:

- «هل أزعجك؟ قالت وهي تجلس بقربه.

- «على العكس» أجابها مبتسماً. «يبدو ان الالهام نادر هذه الأيام».

- «انت لا تزال عاشقاً، ولكنك ستستعيد خيالك قريباً. ألا تنزعج فيفيان من عملك؟»

- «على العكس! هي التي اصرت ان اعمل هذا اليوم، لكن رأسي فارغ».

- «اذاً، ربما بامكانك ان تعلمني دروساً في قيادة المركب».

- «يا للفكرة! مات مستعد لمرافقتك الى حيث تشائين ومتى تشائين.

- «اريد أن أجد عملاً في سانت ماريز، ويبدو لي انه من الصعب أن اطلب من مات ان يرافقني كل يوم».

- «سيفعل ذلك بكل سرور، انا متأكد» اجاب والدها «ولكن لماذا انت متسرعة لايجاد عمل؟ تمتعي بفصل الصيف هذا. سنرى فيما بعد...»

- «لانني اشعر ببعض الملل».

- «ولكنك لست وحدك، ولكني لا ارد استغلال لطفه. كما وانني امنعه في العمل...»

- «حسناً حسناً». اجابها باتريك كولدنغ باستياء: «طالما انك مصرة على ايجاد عمل، سأرى ما يمكنني ان افعله. فيفيان تعرف الكثيرين في سانت ماريز. سأطلب منها ان تساعدك».

- «اوه، شكراً» صرحت ريتا بامتنان، لكن فرحتها كانت قصيرة لأن الكاتب اضاف:

- «لكن بالنسبة لتعلم قيادة مركب، اعتقد ان مات هو افضل معلم. سأكلمه هذا المساء. بانتظار ذلك. ستمضين هذا النهار ممدة كي يرتاح كاحلك.

لم تجبه ريتا. الغريب بالامر ان والدها يعود دائما لموضوع مات وكأنه وبدون وعي يسعى للتقريب بينهما. آه، لو انه يعرف الحقيقة! لكنها لا تنوي اخباره بشيء: فهذا لن يحل اية مشكلة، بل على العكس، سيقضي على ثقة الكاتب بابنته. الحياة لن تكون سهلة اذا لم تجد

عملاً. من مصلحتها ان تتعلم وبأسرع وقت ممكن القيادة والا سيستغل مات الظرف ليطيل الدروس الى الابد، لأنه سيجد بذلك فرصة احلامه للتقرب من الفتاة.

تغيب مات خلال اليومين التاليين، فوجدت ريتا الفرصة لتهدئة انفعالاتها التي عرف كيف يوقظها مات. وكانت تشعر بأن حبها القديم لم يمت. مات هو الذي قطع العلاقة وحطم قلبها، فكيف تثق به من جديد؟

الأمسية المعدة للدرس الاول حانت اخيراً. عندما صعدت الى المركب، كانت قد حزمت امرها على ان تبقى بعيدة عن مات وعلى ان تتصرف بطبيعته. لم يغب هذا عن مات لأنه ما إن اصبحا وحدهما على المركز حتى انفجر ضاحكاً:

- «ماذا يجري؟ الا تزالين حاقدة علي؟»

- «عما تتكلم؟ اجابته متظاهرة بالدهشة.

- «هيا، انت تعرفين جيداً. اطمئني، لا انوي تقبيلك اليوم، نحن هنا فقط لأسباب عملية».

- «لم افكر لحظة بانك قادر على التفكير بشيء آخر». اجابته ببرود: «والا لما أتيت».

- «اذا كان من الصعب عليك تحمل وجودي الى هذه الدرجة، فمن الأفضل ان نبقى هنا، ونتوقف عن رؤية بعضنا».

بدون شك هذا افضل لوضع حد لهذا الوضع الصعب. ريتا تعي ذلك، لكن شيئاً بداخلها يرفضه. الغريب انها متمسكة بصداقة مات. اوه، صداقة افلاطونية، بالتأكيد،

لكنها معه مهددة. لانها ولو كانت صادقة مع نفسها يجب ان تعترف بانها تحب مات كثيراً، وان كانت لا تثق به.

- «انت مخطىء» اعترضت وهي ترفع يدها. «ليس فقط لا يمكنني تحملك، لكنني ارغب بتعلم القيادة».

تحمل نظراتها لثوان قبل ان يعترف آسفاً.

- «حسناً، انت ربحت، الى الامام!»

الساعة التالية كانت رائعة. مات تصرف كمعلم ممتاز، شرح لها الامور بطريقة دقيقة لدرجة ان ريتا وقبل انتاء الدرس، شعرت بانها تعرف كل شيء عن قيادة المركب.

- «لن احتاج اليك من الآن وصاعداً!» قالت له بمرح وهما يعودان الى الشاطىء. «الابحار بهذا المركب يبدو لي كلعبة اطفال!»

- «قيادة المركب سهلة، نعم. لكن يجب ان تتمرني قبل ان تغامري وحدك في البحر».

- «بالتأكيد. ولكني سأكتب الخبرة بدونك».

- «ابداً» قال بحدة جعلت الفتاة تنتفض. «الطقس هنا يتبدل باستمرار، والبحر خائن. يجب ان تتعلمي القيادة في كل الظروف الجوية. وحتى تصبحي قادرة، لا مجال للقيادة وحدك».

- «لا اريد ان ازعجك اكثر بهذه الدروس. لا خطر من خروجي وحدي».

- «اكرر لك، هذا غير ممكن. ستقودين هذا المركب وحدك عندما احكم عليك بانك اصبحت مؤهلة لذلك».

رفعت ريتا رأسها بتحد.

ـ «سنتكلم بالامر مع والدي. انا متأكدة انه سيسمح لي».

ـ «اشك بذلك». قال وهو يوقف المركب.

عادا معاً الى المنزل صامتين. ما إن وصلا حتى اسرعت ريتا إلى الصالون حيث يستمع والدها إلى الراديو.

ـ «كيف جرت الأمور؟» سألها الكاتب باهتمام.

ـ «رائع» صرخت الفتاة. «الامر اسهل بكثير مما كنت اتوقع، لقد تصرفت جيداً، ومع ذلك، يلح مات على متابعة اعطائي الدروس. قل له يا ابي أن هذا ليس ضرورياً، طالما انه لم يعد هناك ما أجهله».

لم تكن قد سمعت مات يدخل إلى الصالون، وانتفضت عندما قال:

ـ «انها ترفض الاستماع إليّ، باتريك. حاول إذاً اقناعها بأن الابحار في اي طقس كان لا يكفيه ان تعرف كيف تدير الدفة».

ـ «دعني اتكلم». قاطعته ريتا غاضبة. والدي يعرفني اكثر منك. ويعرف انني حذرة وانني لن اجازف».

ـ «هذا صحيح يا عزيزتي» تدخل والدها بهدوء. ولكن في هذه الحالة بالذات، انا من رأي مات. ماذا تفعلين اذا هبت عاصفة فجأة؟ أو إذا هبط الضباب؟ أو إذا تعطل المحرك؟ سيعلمك مات كل شيء عن المراكب اطيعيه يا عزيزتي، نظرت ريتا إلى الرجلين.

ـ «انتما حقاً لا تُطاقان!» صرخت لأنها ادركت ان والدها على حق واجهشت بالبكاء وصعدت السلم بسرعة لتحتمي

في غرفتها حيث رمت نفسها على السرير عاجزة عن السيطرة على دموعها.

«الرجال مستحيلون لماذا يعتقدون انهم الاقوى؟ يقرون يفرضون اراءهم! سأثبت لماتيوس هذا بانني قادرة على قيادة المركب وحدي! كيف يجرؤ على اصدار الاوامر إليّ وامام والدي؟

نامت ريتا متأخرة هذه الليلة وهي تفكر بوسيلة تثبت فيها لمات انه مخطىء.

سنحت لها الفرصة بوقت اسرع مما كانت تأمل. في اليوم التالي، قرر باتريك وفيفيان ان يذهبا إلى سانت ماريز. ورافقهما مات ليشتري بعض الحاجيات. فبقيت ريتا وحدها وهي مصممة على استعادة مركب والدها. انه اصغر من التامريسك وقيادته اذاً اسهل. الطقس رائع والبحر هادىء. فقررت القيام بجولة حول جزيرة الستار.

انطلقت المركب بدون صعوبة. وابتعدت ريتا بهدوء عن المرسى. كانت قد ارتدت بنطلون ازرق وبلوزه بيضاء وعقدت شعرها بشريطة زرقاء ايضا فشعرت بانها حقاً بحار... تساءلت بعد قليل اذا كانت حقاً ستعتاد على هذا الوجود المنعزل كوالدها. هو بالتأكيد وجد السعادة... احست فجأة بالندم لانه تزوج فيفيان. فيفيان امرأة رائعة، لكن القدر جعلها والدة مات وقرب بين كائنين مزقتهما الحياة بشكل مؤلم قبل اعوام.

استسلمت لأفكارها الكئيبة، عندها فجأة، انتفضت وقد لاحظت أن المركب انحرف واصبح قريباً جداً من صخور

كبيرة قرب الشاطىء، فأمسكت المقود بقوة لتعود الى وسط البحر. اذا حصل أي حادث، فسيكون مات سعيداً بالتكرار انها عاجزة عن التصرف وحدها. عادت لجولتها حول الجزيرة وقررت ان تغامر أبعد: لماذا لا تذهب لرؤية تلك الجزر الظاهرة في الافق؟

اتجهت نحو تلك الجبال التي تنتصب في الجنوب. وبعد قليل اكتشفت جزراً صغيرة كلها غير مأهولة باستثناء واحدة تنتشر عليها بعض المنازل.

بعد عشرة دقائق لم تعد جزيرة الستار ظاهرة. وادركت ريتا انها نسيت ان تحدد وجهتها الصحيحة، وليس لديها اية وسيلة للتوجيه. اوقفت المركب وقلبها يدق بسرعة محاولة ان لا تستسلم للقلق.

فجأة، سمعت هدير محرك مركب لنقل الركاب يقترب. حركت يديها عاليا وصرخت لكن المركب تابع طريقه دون ان يتوقف.

بقوة اليائس، قررت ان تتبع مركب الركاب هكذا ستصل إلى مكان ما وتسأل عن الاتجاه الصحيح. للأسف كان المركب سريعاً جداً واختفى في البعيد. الوضع ليس مأساوياً لهذه الدرجة، فهناك جزيرة بالقرب من هذه الضفة. زادت ريتا السرعة واتجهت نحو الجزيرة الصغيرة. لكن لم تقطع الا خمسمائة متر حتى توقف المحرك.

يا إلهي، الخزان فارغ من الوقود. لماذا لم تتحقق من الوقود قبل الانطلاق. هذا دليل اضافي بانها ليست خبيرة كما كانت تعتقد. ماذا تفعل الآن غير الانتظار على امل ان

يمر مركب من هنا ويساعدها؟

كما وانهم في المنزل سيلاحظون غيابها وغياب مركب والدها، وسيخرج مات للبحث عنها. بالتأكيد سيكون والدها غاضباً وسيلومها بعنف. على كل حال، هى تستحق هذا...

كانت متأكدة ان مات سيجدها، ومع ان الشمس بدأت تميل نحو خط الافق، لم تشعر بالخوف. كانت فقط حزينة وجائعة. بعد قليل عثرت على لوح شوكولا داخل المركب، ولكن هذه الوجبة الخفيفة لم تكفها. والشمس قد مالت للمغيب. يا إلهي، حتى ولو انطلق مات للبحث عنها قد لا يجدها اليوم. وقد يضطر لتأجيل عملية البحث عنها للغد. وستضطر ريتا لقضاء الليل وحدها في وسط البحر عقاباً لها.

انحرف المركب كثيراً واصبح نقطة صغيرة في البحر. لا اثر لليابسة حولها. استسلمت ريتا وتمددت وغطت نفسها بحرام سميك وحاولت ان تنام. لكنها احست بدموع تحرق خديها. آه، لماذا لم تستمع لنصائح من هم اكثر خبرة منها؟ سخرية القدر، شاءت ان تضعها في هذا الموقف.

عندما نجحت اخيراً في النوم، اقترب مركب كبير. وعلى جسره الأعلى مصباح كبير يدور مستكشفاً سطح البحر. واخيراً توقف بالقرب من مركب والدها.

- «ريتا! هل أنت هنا».

هذا الصوت ايقظ الفتاة من نوم عميق. اعتقدت اولا انها تحلم ولكن عندما فتح باب المقصورة بعنف. فهمت

انهم وجدوها اخيراً. كان ضوء مصباح قوي يتأرجح امام وجه حامله، فحمت عينيها وحاولت ان تميز وجه الرجل الذي يقترب منها:

- «أوه مات، كنت متأكدة انك ستأتي! كم تأخرت!»

- «حقا؟ من تعتقدينني؟ إله؟ كنت ابحث عنك منذ ساعات وفقدت الامل في العثور عليك، لماذا خرجت بالمركب، مع اننا منعناك؟»

- «انا آسفة». تمتمت ريتا «لن تصدقني بدون شك، ولكن...»

- «آسفة حقاً؟» قاطعها مات بحدة. «دعيني اضحك! انت تعرفين تماما ما فعلتيه: لو حصل كل شيء بشكل طبيعي، لكنت عدت منتصرة ونعتيني بالمغفل، أليس كذلك؟»

عندما لم تجبه جذبها من كتفيها بعنف واجبرها على النهوض، ووجه نور المصباح الى وجهها.

- «انت تستحقين ان اتركك هنا! هذا سيكون درساً لك. للحقيقة، انت لا تطاقين!»

- «ووالدي!» قالت اخيراً بتردد «ماذا قال؟»

- «يسعدني ان تفكري به احيانا قال مات بسخرية. «انه بغاية القلق، اذا كان هذا يهمك حقاً».

- «كيف تجرؤ وتدعي العكس؟»

- «اذاً لماذا تفكرين به قبل ان تأخذي المركب؟»

- «انا... اخيراً، كنت اظن انني استطيع التصرف وحدي... على كل حال لو لم ينفذ الوقود من هذا

المركب اللعين، لكان كل شيء سار على ما يرام».

- «انت تدهشينني. لكنني متأكد انك كنت ستضلين الطريق حتى ولو لم ينفذ الوقود».

- «لا... انا...»

- «هيا، لا انوي البقاء هنا طوال الليل من اجل نقاش سخيف غير مجدي».

ثم امسك ذراعها وصعد بها الى الأعلى، نور القمر كان ضعيفاً شاحباً. توقف مات فجأة ونظر الى وجه ريتا. كان وجهه قاسياً متقلصاً وعيناه قد اصبحتا أغمق لوناً لتكشف عن مشاعره. كانت ريتا في قمة اليأس عندما ضمها فجأة بين ذراعيه وسحق شفتيها بشفتيه بقبلة سريعة متوحشة.

- «الحمدلله انك سليمة معافاة» همس بصوت حنون

ثم قفز بسرعة إلى التماريسك الذي كان قد ارساه بجانب مركب كولنديغ. وببراعة تعود لخبرته الطويلة، ربط المركب إلى مؤخرة مركبه بحبل سميك ثم ساعد ريتا في الصعود إلى مركبه وانطلق به على الفور. ظلت ريتا واقفة بجانبه وقد اربكتها قبلته المفاجئة: أيجب أن ترى فيها اشارة بأن مات لا يزال يحبها؟ لماذا ترفض اذاً حبه؟ قد تكون الثقة والحب شيئين مختلفين.. الم تفسد بموقفها سعادة لن تجدها مع غيره؟

- «اتعلمين ماذا تستحقين؟» فاجأها صوت مات واعادها الى الواقع. «تستحقين الضرب. لو كنت والدك لما افلت مني».

ارتعشت ريتا: كيف امكنها أن تتخيل للحظة واحدة ان

www.elromancia.com

هذا الوغد قادر على الحب؟

- «احمد الله على انك لست والدي! هو على الأقل، يحبني سيفهم جيداً لماذا تصرفت على هذا النحو، أما أنت، اذا تجرأت على لمسي، فستندم كثيراً». اضافت بصوت لم يعد بامكانها السيطرة عليه.

- «حقاً؟ ماذا ستفعلين؟»

كانت ريتا قد رفعت يدها لتصفعه لكنه كان الاسرع. قطع المحرك بحركة عنيفة وامسك يدها بقوة اجبرتها على الانحناء الى الامام.

- «لا تحاولي مرة ثانية، اني احذرك» وضغط على يدها اكثر.

حبست ريتا دموعها وقررت ان لا تظهر ضعفها امامه. رفعت رأسها بتحد واستندت على الداربزين تنظر بعيون تائهة إلى البحر الواسع دون ان تلفظ اية كلمة.

- «اليس لديك لسان؟» سألها مات بعد قليل بسخرية «أم انك فقدتيه؟»

- «كما فقدت انت أدبك» اجابته بجفاف دون ان تنظر اليه. «هذا الموقف ليس غريباً عنك، والا لما اختفيت في الماضي دون أي تفسير».

- «كان لدي اسبابي لاتصرف هكذا». أجابها بحدة ادهشتها.

- «بالتأكيد، كنت قد التقيت بفتاة اخرى!» صرخت غاضبة. «للحقيقة كنت مسرورة بذلك، لانني اكتشفت في الوقت المناسب حقيقتك. عندما افكر انني كنت سأتزوج

منك..! قل لي، هل مللت من زوجتك كما مللت مني؟ ربما موتها خلصك منها... ربما...» ثم سكتت فجأة وقد ارعبتها كلماتها هذه.

- «اوه مات!» تمتمت متلعثمة «... انا لست طبيعية... كنت غاضبة منك... لم افكر بهذه الكلمات...»

لم يجبها وادار ظهره فلم تدرك بماذا شعر. وضعت يدها على كتفه لكنه ابتعد بعنف واشغل المحرك من جديد.

تابعا طريقهما بصمت، وعندما وصلا الى الجزيرة وجدا ان باتريك وفيفيان بانتظارهما على رصيف المرفأ الصغير. إن توقف المركب حتى قفز باتريك غولندينغ الى متنه وضم ابنته بين ذراعيه.

- «اوه، ابي!» قالت وهي تجهش بالبكاء. «اعذرني انا آسفة لانني تصرفت بغباء»

- «اهدأي، يا عزيزتي» همس والدها بحنان «اعلم انك آسفة على قلة حذرك، بما انك معافاة، لننسى كل هذا».

ابتعدت ريتا عن والدها ونظرت الى مات بخجل وقالت بصوت مرتبك:

- «شكراً لانك اعدتني...»

لم تر ريتا مات طوال الاسبوع التالي، وشعرت بخيبة كبيرة. كانت نادمة جداً على اندفاعها وكلامها القاسي الذي وجهته له، لكن الان، ماذا يمكنها ان تفعل؟ يبدو ان مات كان يحب زوجته ولم يكن يتمنى موتها. يا الهي، لن

يسامح ريتا ابداً. ربما الوقت وحده كفيل بمداواة جرحه الذي فتحته بكلامها من جديد.

عندما ظهر مات من جديد، كان ذلك بناء على طلب من باتريك غولدينغ. كانت ريتا مضطرة للذهاب اليوم إلى جزيرة ماريس حيث أعدت لها فيفيان موعداً لمقابلة محام يبحث عن سكرتيرة. كان الموعد في الساعة الثانية. وبما ان والدها قد عاد لمزاولة عمله فضل ان لا يصطحب ابنته بنفسه.

عندما وجدت نفسها على متن التماريسك وحدها مع مات، شعرت ريتا بالخجل. كان قد استقبلها باشارة لطف من رأسه مثل ان يجلس بصمت خلف المقود متشاغلا بالتركيز على القيادة. كانت ريتا تعلم انه بامكانه ان يقود مركبه مغمض العينين، فلماذا كل هذا الاهتمام المفاجيء بالقيادة؟

لابد ان وجودها هو السبب، ولابد انه لا يرغب بالتحدث معها.

بعد دقائق من التردد، قررت ريتا الكلام:

ـ «انا اعتذر عن الاشياء الفظيعة التي تفوهت بها ذلك النهار. انا نادمة حقاً...»

التفت نحوها ببطء ولكن عينيه كانتا باردتين:

ـ «اقبل اعتذارك» اجابها بجفاف.

ـ «انا ممتنة لك» قالت متلعثمة «اتمنى ان لا تكون غاضباً لانك اضطررت لاصطحابي الى سانت ماريس اليوم».

ـ «افعل ذلك بكل سرور».

ـ «لكن يبدو عليك العكس... لو كنت اكثر خبرة بالابحار، لكنت جنبتك الانزعاج بمرافقتي. اخيراً، اذا حصلت على العمل في مكتب هذا المحامي، يجب ان اجد وسيلة لتنقلاتي دون أن احتاج لخدمات أحد يومياً».

نظر اليها بمكر.

ـ «اذاً انت تعترفين انك لا تزالين غير قادرة على المغامرة وحدك في البحر؟ انت تدهشيني يا عزيزتي. كنت اعتقد انك لا تجهلين شيئا عن المراكب».

ـ «بالتأكيد لا». واحمر وجهها. «انا اعرف انه لا يزال امامي الكثير لاتعلمه».

ـ «في هذه الحالة، انا مستعد لمتابعة دروسك، ذلك لانني لن استطيع ان ارافقك الى سانت ماريس يومياً».

«هذا واضح» فكرت ريتا بانقباض في قلبها مات يرغب بتعليمها. قيادة المركب كي لا يضطر لتحمل رفقتها.

ـ «لماذا لا نبدأ على الفور» قال وهو يبتعد ليترك مكانه للفتاة.

ارتبكت عندما شعرت بانه قريب لهذه الدرجة منها، وامسكت المقود بيد واحدة فاهتز المركب بعنف.

«هدوء» قال مات وهو يخفف السرعة. «هل انت على عجلة من امرك؟»

ـ «لا، لكنك توتر اعصابي» اعترفت بخجل.

ـ «لماذا؟ اطمئني، لن ترتكبي اي خطأ. لا تنسي اني بجانبك... لا تقلقي، مهما فعلت، لن أتأثر».

www.elromancia.com

- «لا افهم...».

- «حسنا، حاولي ان تفكري، هذا ليس صعباً».

للحقيقة، فهمت ريتا انه ولو كان لا يزال يكن لها بعض الحب، لقد قرر ان يطردها من قلبه. الغريب ان هذا الموقف احزنها بدل أن يريحها كما كانت تظن.

تابعا طريقهما بصمت، ولم يتكلم مات الا عندما اقتربا من جزيرة سانت ماريس. اكتفى بأن شرح لريتا كيف توقف المركب بهدوء. ثم ساعدها على النزول إلى الرصيف.

«لا اعتقد انك ستتأخرين كثيراً. اذاً سأنتظرك هنا».

- «ولكن... كنت اريد ان استغل هذه الفرصة لشراء بعض الحاجيات».

قالت متعلثمة «ايزعجك ان نلتقي بعد ساعتين؟»

- «لا، طالما انني اضعت هذا النهار، سأقوم بجولة انا ايضاً على المحلات».

ارتبكت ريتا انه بالتأكيد يحاول أن يضايقها، ولقد نجح في ذلك.

- «شكراً، اعدك بانني لن اتأخر». وابتعدت مسرعة.

وجدت مكتب المحامي بدون صعوبة، انه رجل قوي لطيف واصغر سناً مما كانت تتخيل. يبدو انه بمثل سن مات. شعره أسود يسرحه الى الخلف. يضع نظارات تضفي عليه جدية الرجل المحامي. لكن ابتسامته المرحة جعلت ريتا تشعر بالراحة امامه.

«تفضلي بالجلوس، ارجوك».

جلست ريتا بعد ان اعطته شهادتها التي حصلت عليها من معهد السكرتيريا وشهادة التقدير التي نالتها من رب عملها السابق. درس السيد بامبرتون الاوراق طويلا ثم اعادها إلى ريتا.

- «يبدو انك الفتاة المناسبة. سأشرح لك بكلمتين طبيعة عملك هنا. اذا كان يناسبك، اعتبري نفسك قد حصلت على الوظيفة».

لم تصدق ريتا اذنيها! كانت تتوقع ان تخضع لكل انواع الاختبارات والاستجواب قبل ان يطلب منها ان تعود إلى منزلها بانتظار رسالة التعيين، هذا اذا قُبل طلبها.

بعد دقائق، فهمت ريتا طبيعة عملها يجب أن تبدأ بالعمل يوم الاثنين القادم في الساعة التاسعة.

- «بما انك تقيمين في جزيرة ستار كيف ستأتين إلىّ هنا كل صباح؟ الديك مركب خاص؟»

اخفضت نظرها بانزعاج:

- «انا اتعلم القيادة، ان قريبي موافق على اصطحابي كل يوم ريثما اصبح قادرة على قيادة المركب وحدي».

- «اذا كان يناسبك، بامكاني أن أمر لاصطحابك فأنا اقيم في جزيرة سان مارتان وهي ليست بعيدة عن جزيرة ستار، بامكاني أن اقطع مسافة قليلة اضافية بكل سرور، اذا كنت موافقة، طبعاً...».

اشرق وجه ريتا:

- «اوه، هذا رائع! فأنا لا احب ان اخذ من وقت عمل مات يومياً!».

- «ماتيوس مشغول دائماً بالفعل» قال المحامي. «لهذا السبب سمحت لنفسي بان اقدم لك هذا الاقتراح».

- «ماذا، اتعرفه؟ سألته ريتا بدهشة.

- «انا اعيش في هذه الجزيرة منذ مدة طويلة، وبفضل مهنتي، التقي بالكثيرين» شرح دون ان يعطيها مزيداً من التفاصيل.

تحدثا بلطف بضعة دقائق اخرى، ثم استأذنت ريتا واتجهت نحو السوق حيث اشترت بعض الحاجيات وعندما نظرت الى ساعة يدها وجدت انه لا يزال امامها نصف ساعة قبل أن تلتقي بمات. فقررت ان تشرب كوباً من الشاي في المقهى القريب منها.

جلست امام طاولة قرب المدخل بانتظار ان يحمل لها الخادم الشاي. فجأة لمحت مات يجلس ليس بعيداً عنها، همت بالانضمام إليه، لكنها لاحظت انه ليس وحده: بجانبه فتاة جميلة انيقة تتلذذ بالاستماع إليه. فهمت ريتا على الفور ان ماتيوس فنسنت لا يتركها غير مبالية به. ما المدهش في ذلك؟ فمات جميل وسيم وجذاب: انه رجل لا يمكن الا تقع الفتيات بحبه.

لم تكن ريتا قد فكرت ان لمات علاقات غرامية على هذه الجزيرة، فأحست بانقباض في قلبها وهي تسمع ضحكته.

يبدو ان رفيقة ماتيوس الفاتنة شعرت بانها مراقبة، لأنها رفعت رأسها فجأة ثم تمتمت ببعض الكلمات في اذن جارها. التفت مات عندئذ ورأى ريتا فتوقف على الفور عن

الضحك. وعلى عكس ما كانت تتوقع، اشار اليها بالانضمام اليهما. اطاعته ريتا رغما عنها ومرت بين الطاولات ببطء تحت انظار هذه الشقراء الفاتنة التي تتساءل بدون شك عمن تكون وعما تمثله بالنسبة لمات، وقد وضعت يدها على كتفه وكأنها تريد ان تقول: «انتبهي، هذا الرجل لي انا!»

نهض مات واقترب من ريتا:

- «يبدو انك انتهيت من شراء حاجياتك بوقت اقصر مما كنت تتوقعين. اقدم لك روزالين جايمس. روزالين، انها ريتا، ابنة عمي زوج والدتي».

بدا الاطمئنان على الفور على وجه روزالين. ريتا قريبة لمات، ولا تشكل منافسة جدية.

- «انا سعيدة بمعرفتك». قالت «مات اخبرني انك على موعد بشأن العمل، هل كانت المقابلة ناجحة؟»

السؤال كان من باب اللياقة فقط، فهمت ريتا بسرعة واجابتها:

- «كانت ناجحة جداً، شكراً. سأبدأ بالعمل في الاسبوع القادم. وانت، آنسة جايمس، هل تعملين؟

- «انا؟ يا إلهي، لا، يا عزيزتي. لا احتاج للعمل».

«للحقيقة» قاطعها مات مبتسماً «روزالين لديها والد ثري جداً، وهي ليست بحاجة لكسب رزقها».

- «والدي ايضا ليس فقيراً» اجابته ريتا وقد احست بجرح في كرامتها.

- «لكنني متمسكة باستقلاليتي، اشعر بملل كبير اذا لم

اقم بأي عمل. كيف تمضين ايامك، آنسة جايمس؟»

- «اوه، نادني روزالين، ارجوك. اشعر بانني عجوزة وانا اسمعك تقولين الآنسة جايمس. تريدين ان تعرفي كيف اقضي ايامي؟ حسناً، لندن حيث اقيم معظم الوقت. للحقيقة، لم يكن مات يعلم بعودتي الى هنا، التقينا صدفة، اليس كذلك .ياعزيزي؟ اتمنى ان تكرس لي القليل من وقتك بدل ان تكرسه لتلك للطيور المملة. لن أبقى هنا اكثر من اسبوعين فقط».

- «للأسف لا استطيع ان اعدك بشيء. فالطيور هي اساس عملي، وانا لست غنياً لاعيش على مزاجي». اضاف بمكر «كما وانه يجب علي ان اهتم بريتا طالما انها لا تستطيع ان تقود المركب وحدها.

- «ولكن لا»، قاطعته ريتا برضى. «لست مضطراً لترافقني كل يوم، تدبرت امري مع السيد بامبرتون. انه موافق على اصطحابي كل يوم. اكد لي ان جزيرة ستار هي على طريقه، وانه لا ينزعج من اصطحابي».

اشرق وجه روزالين بينما عقد مات حاجبيه على الفور.

- «اتتكلمين عن بروس بامبرتون؟ لم اكن اعلم انه هو من ستقابلين. روى لك قصصاً... جزيرة ستار بعيدة عن جزيرة سان مارتان، وسيحتاج لأكثر من ربع ساعة اضافية ليمر لاصطحابك».

هزت ريتا كتفيها.

- «على كل حال، انا قبلت عرضه اعتقاداً مني ان هذا سيسعدك. الا تحب السيد بامبرتون؟»

- «ليس تماماً. ولكن بما انك اتفقت معه، ليس لدي ما أضيفه. كان يجب عليك على الاقل ان تكلميني بالامر أولاً».

- «يبدو انك لا تثق به، على كل حال، اذا كان يجب علي ان اعمل معه، فلا بأس بمرافقته اثناء الطريق، أليس كذلك؟»

- «انت على حق». قال وهو ينهض، هيا بنا لنذهب الان».

- «لا يزال الوقت باكراً» قالت روزالي معترضة «لم اراك جيداً، لدي الكثير لاخبرك به!».

- «آسف، عزيزتي، ولكن كان يجب عليك ان تخبريني بوصولك كي انظم وقتي...» وعندما لاحظ خيبة الفتاة، اضاف:

- «اترغبين بأن نتناول العشاء معاً مساء غد؟»

- «سيكون رائعاً. سأنتظرك في الساعة الثامنة في منزلي، ولكن لا تتأخر».

انحنى مات وطبع قبلة على خدها قبل أن يغادر المقهى مع ريتا. وصل الى المركب بخطوات سريعة لدرجة ان ريتا بالكاد تمكنت من اللحاق به وأخيراً وصلت إلى المركب وهي تلهث:

- «اذا كنت قد غادرت المطعم بسرعة من اجلي، فأنت مخطىء، كان بامكاني ان اجد ما يشغلني بانتظارك».

- «كان يجب ان اعود» اجابها بجفاف «لقد أضعت ما يكفي من الوقت». ثم ساعدها في الصعود إلى التامريسك

وبقي وجهه منقبضاً.

فهمت ريتا ان بروتس بومبرتون هو سبب سؤ مزاج مات.

- «أتعرف رب عملي الجديد منذ مدة طويلة؟ انا اجده لطيفاً».

- «نعم انه لطيف»، اجابها مات بسخرية «ولكن لا تستسلمي لسحره انه رجل قاس».

- «مهنته تتطلب ذلك. على كل حال، ما أهمية ذلك بالنسبة لي؟ انا سأعمل معه، واذا قمت بعملي كما يطلب مني، لن يكون هناك أي اشكال بيننا».

- «ليس لدي حالياً سوى شيء واحد أقوله لك: لا تدعي اساليبه الساحرة تعميك».

أحست ريتا انها فقدت صبرها من جديد، فرفعت وجهها بتحد وقالت بجفاف:

- «لست بحاجة لنصائحك. اعرف كيف اتصرف جيداً وحدي».

- «حقاً؟ انت تدهشينني».

- «اوه، توقف عن هذا التعالي! يجب أن تكون ممتناً لي لانني عرفت كيف أجنبك همّ مرافقتي كل يوم إلى سانت ماريز».

- «انت على حق بدون شك! التوتر بيننا امر لا يمكن تحمله مع طول الوقت».

احست ريتا بالحزن الشديد وفهمت ان مات لم يعد يبالي بها، وفضلت عدم متابعة النقاش لانه كل مرة ينقلب

النقاش لصالحه هو.

صباح يوم الاثنين، كان بروس بومبرتون على الموعد تماماً، اوقف مركبه الابيض الفخم بمحاذاة رصيف المرسى الصغير وساعد ريتا بالصعود. اما مات فكان قد اختفى منذ الصباح الباكر وكأنه لم يكن يريد رؤية ريتا ترافق رب عملها الجديد.

ما إن صعدت ريتا إلى المركب حتى سألت بروس اذا كان يعرف مات جيداً.

- «بالتأكيد»، أجابها بخفة. «لقد قضينا طفولتنا وفترة المراهقة معاً، لماذا؟ ألم يخبرك؟

- «لا، لكنه دهش عندما علم انك ستكلف نفسك المرور من هنا كل يوم لتصطحبني».

- «هذا طبيعي على كل حال، فأنا أفعل نفس الشيء مع أي شخص كان».

- «وخاصة اذا كان هذا الشخص امرأة». قالت وهي مصممة على اكتشاف سبب موقف مات.

ابتسم بروس وهز رأسه.

- «بدأت افهم... مات لم يسامحني ابداً لأنني أغريت احدى صديقاته، كان ذلك عندما التحق بالجامعة».

- «على كل حال، اللوم يقع عليها هي اكثر مما يقع عليك، اذا لم تكن هي ترغب بانتظار عودته. هل تزوجتها أخيراً؟»

- «لا، لم تسر الأمور على ما يرام بيننا».

سكتت ريتا وتفاجأت من اتجاه الحديث إلى هذا

الميدان الشخصي، ولكن بروس كان لطيفاً جداً ويبدو انه لا يهتم لرأي مات به.

اوقف بروس مركبه وسارا معاً حتى وصلا إلى المكتب، وكان بروس طوال الطريق يتوقف ويسلم على الكثيرين من معارفه، فاحست ريتا بالاطمئنان وباتت متأكدة ان مات مخطيء في موقفه من السيد بومبرتون.

مر النهار بسرعة، بالتأكيد كان العمل جديداً بالنسبة للفتاة، ولكنها كانت تعلم انها ستعتاد عليه بسرعة، وكان بروس يبدو مسروراً منها. وقبل مغادرة المكتب هنأها بحرارة وفي الساعة الخامسة كانا قد وصلا الى جزيرة الستار. كانت ريتا على أهبة النزول إلى المرسى عندما سألها المحامي فجأة:

- «اتقبلين دعوتي لتناول العشاء معي مساء غد؟ بامكاننا الذهاب الى المطعم بعد مغادرتنا المكتب مباشرة، هذا يجنبنا قطع المسافة مرتين بين الجزيرة».

ترددت ريتا لحظة. فبعد تحذيرات مات، تبدو لها هذه الدعوة متسرعة قليلاً. ولكنها سرعان ما استبعدت الشكوك، لماذا ترفض دعوة رجل لطيف فاتن؟ فمنذ وصولها إلى الجزر، لم تخرج إلا مع مات ومع والدها وزوجته.

- «سيكون ذلك بكل سرور، سيد بومبرتون. يسعدني تناول العشاء معك مساء غد».

- «ارجوك، نادني بروس».

احست ريتا فجأة بعودة شكوكها، لكنها رفضت ان

تحملها على محمل الجد.

في المنزل، كان الأهل ينتظرانها بفارغ الصبر، وسرا لأن يومها الأول كان جيداً، وعندما اخبرتهما ان بروس دعاها للعشاء غداً، قال والدها:

- «انا مسرور من اجلك يا عزيزتي، يبدو انك مرتاحة مع السيد بومبرتون».

- «لم يكن يجب عليك المزج بين العمل والحياة الخاصة» قالت فيفيان معترضة «مات لا يحب بروس ابداً، ولديه اسبابه، حتى انه قال لي هذا الصباح...».

- «هذا ليس مهماً» قاطعتها ريتا بحدة. «يظن انه يملك حق مراقبتي. انا كبيرة واعرف كيف اتصرف، اليس كذلك ابي؟

- «اعلم انك تملكين رأساً، يا عزيزتي» قال والدها بمحبة. «ولكن كوني حذرة».

شعرت بارتياح وبعض الخيبة لأنها لم تر مات قبل ذهابها الى المكتب في اليوم التالي. كانت تحب أن تزف إليه خبر موعدها مع بروس مع انها كانت تعرف كيف ستكون ردة فعله.

ولكن الصدفة شاءت أن يكون مات في نفس المطعم يتناول العشاء مع روزالي. ما إن دخلت ريتا ومات حتى نظرت روزالي اليهما بانزعاج، ولكن مات هب على الفور للقائهما ودعاهما الى طاولته. كانت ريتا تفضل ان تتناول العشاء مع بروس وحده، لأن نظرات مات لم تكن تنبىء بسهرة ممتعة، لكن الأدب منعه من التعبير عن كل ما يجول

بفكره بصوت عال، فاستقبل بروس بكل لطف ظاهر.

- «انا سعيد برؤيتك» اجابه بروس بمرح. «وانتِ ايضا روزالي. يبدو لي انك نسيتِ حياة الجزر منذ ان انتقلت إلى لندن، كيف هي العاصمة في هذه الايام؟»

- «كالعادة»، اجابته روزالي بتعال. «هل انت راض عن سكرتيرتك الجديدة؟»

- «بالطبع»، قال بروس مبتسماً وهو ينظر الى ريتا «انها رائعة، لم يسبق لي ان التقيت بسكرتيرة كفؤة مثلها».

- «وكي لا تتركها تهرب، تحتفظ بها بعد ساعات العمل؟»

قالت روزالي بسخرية.

- «ابداً!» اجابها بروس ضاحكاً. «دعوت ريتا للعشاء لانني اجدها فاتنة، وليس لهذا أية علاقة بالعمل...»

عقد مات حاجبيه وقال بسخرية:

- «يصعب عليّ تصديقك، او انني لا اعرفك جيداً، بالرغم من تحذيراتي لها، يبدو أن ريتالم تفهمني».

- «هيا، لم كل هذا الحقد علي؟ الحياة قصيرة... لنحاول ان نستغلها بدون تعقيد».

- «ريتا ابنة عمي زوج والدتي، هذا اذا كنت تجهل ذلك، ولهذا اشعر بانني مسؤول قليلاً عنها». ثم اضاف عندما لاحظ حدة نظرات ريتا. «حسناً، لا فائدة من

استمراري بمعاكسة طواحين الهواء. انت محق، بروس، لننسى الخلافات القديمة ولنحاول ان نمضي سهرة جيدة».

للأسف، كانت ريتا تعلم أن السهرة فاشلة. فالرجلان يحاولان جهدهما أن يخفيا مشاعرهما الحقيقية تجاه بعضهما. ولكنهما كانا ذكيان وتجنبا اشعال الحريق كلما احتدم النقاش. اما ريتا، فلم تتكلم تقريباً، وكانت تكتفي بالاجابة عندما يوجهون لها الكلام فقط. وما إن انتهوا من القهوة حتى أعلن مات:

- «ساعيدك الى المنزل ريتا. لا ضرورة لقطع كل هذه المسافة، بروس. بامكانك اصطحاب روزالي إلى منزلها، هذا اذا كنت موافقة يا عزيزتي».

- «اوه، مات، لن تتركني هكذا! تأففت الفتاة. «لا يزال لدينا اشياء كثيرة، نقولها. ابق معي قليلاً ايضاً.

- «انا آسف، يا عزيزتي، ولكن ليس من عادتي أن ألهو عن واجباتي».

- «ماذا تقصد؟» تدخلت ريتا غاضبة. «انا لم اطلب منك شيئاً وبروس قادر على اصطحابي، وهذا ما كان سيفعله لو لم نلتق هنا».

- «انا آسف لتخييب أملك، ريتا»، الحّ مات «مهما كان تفكيرك، انا من سيعيدك إلى المنزل».

لم يتدخل بروس، وتساءلت ريتا للحظة اذا كان سبب جفاء الرجلين يتعدى كونه قصة منافسة.

- «كنت تستحق أن يضربك بروس». قالت ريتا فور وصولها إلى المركب بحدة «لماذا تظهر له كل هذا

الاحتقار؟ انا اكرر لك بانني اجده لطيفاً فاتناً.

- «حسناً، لننتظر الآتي». اجابها مات بجفاف «بروس شخص يجب أن تحذري منه».

- «انا متأكدة انك مخطىء بالحكم عليه. لقد أخبرني انكما اختلفتما في الماضي من أجل فتاة، ولكن هذا من الماضي. فلماذا لا تزال تحقد عليه؟»

- «انه لم يخبرك بكل شيء».

- «هيا، انه محام ووضعه محترم، لا يمكنه ان يتصرف بوضاعة انت مخطىء بحقه».

- «لا صدقيني، انا اعلم عما أتكلم».

- «اذاً لماذا تركتني أقبل هذا العمل؟ ان والدتك هي التي دبرت مقابلتي معه. هل لديها نفس رأيك به؟».

«تقريباً، ولكنها لم تخبرني عن اسم الشخص الذي كان يجب عليك مقابلته ذلك اليوم. وعندما علمت كان قد فات الاوان. على كل حال، انت عنيدة، ويبدو لي انك تتعمدين القيام بعكس ما أنصحك به. لماذا؟»

- «لانك تريد دائماً اصدار الأوامر لي! تتصرف وكأنك شقيقي الأكبر، ولكنك لست شقيقي ولست شيئاً بالنسبة لي. اذاً دعني اتصرف على هواي!».

يا إلهي، كم هو قاس ان تكلم مات هكذا! ولكن كيف يمكنها تجنب ذلك؟ انها لا تزال تحبه، ولكنها تعلم ان حبها من طرف واحد، اذاً يجب ان تحمي نفسها كي لا يشك بقوة المشاعر التي تمزق قلبها.

التفتت نحوه فرأته كئيباً تبدو عليه الهزيمة. هل جرحته.

لا، هذا ليس ممكناً، طالما انه لا يحبها ولم يحبها يوماً... كانت يداه على المقود وعيناه مثبتة على البحر:

- «اذاً كان هذا حقاً ما تشعرين به»، همس بهدوء. «لا يمكنني أن أغير شيئاً، لن نتكلم بهذا...».

فجأة، احست الفتاة بالحزن والهزيمة ايضاً، فجلست وضاعت نظراتها في البعيد.

بعد قليل، احست بنظرات مات، فرفعت رأسها. وعندما اشار لها بيد لتقترب، نهضت بسرعة ودنت منه. حدق طويلا بعينيها الخضراوين المدهوشتين. وعندما داعبت يده شعرها لم تحاول الابتعاد.

- «لماذا تغيرت لهذه الدرجة؟» سألها بحنان بصوت منخفض.

- «اوه، ريتا، قولي لي، من غيرك لهذه الدرجة؟»

- «انت». اجابته ببراءة. «انت ولا احد غيرك».

«ولكن الماضي مات، ريتا. لماذا لا نعترف بذلك ونعيش الحاضر؟»

- «انا... احب ان أبدأ كل شيء من الصفر، ولكني أعلم ان هذا مستحيل. لن ينجح الأمر...»

- «انت ترفضين اذاً ان تمنحيننا فرصة ثانية؟ سألها بقسوة مفاجئة «كان يجب ان افهم. ولكن، انا لا اليوم نفسي لأنني حاولت. سأسافر إلى لندن صباح غد باكراً، وسأبقى هناك بضعة ايام. لن اراك بدون شك قبل رحيلي».

- «متى قررت السفر؟» سألته بدهشة «سترافقك روزالي؟»

ـ «ما أهمية ذلك؟» أجابها بخفة «اموري لا تعنيك، كما وأن امورك لا تعنيني، اليس كذلك؟»

وكانا قد وصلا إلى الجزيرة، فساعدها مات في القفز إلى اليابسة ثم اتجه بخطوات مسرعة نحو المنزل دون ان ينظر خلفه أو ينتظرها.

تبعته الفتاة ببطء وفكرة رحيله مع روزالي تعذب قلبها. ربما يتصرف هكذا عن قصد، ولكن روزالي ستعرف كيف تستغل الوضع!

لم تنم ريتا جيداً هذه الليلة، وفي الصباح الباكر، عندما سمعت خطوات مات ينزل إلى المطبخ، ارتدت روبها بسرعة وانضمت إليه

ـ «رغبت في ان أودعك قبل رحيلك» قالت له بهدوء كأن شيئاً لم يحصل بينهما مساء أمس.

رفع مات حاجبه بدهشة:

ـ «يشرفني ذلك... ولكني كنت أعتقد أن رحيلي يسعدك وانك تنتظرين رحيلي بفارغ الصبر».

احست ريتا بجرح في كبريائها فاجابته بجفاف:

ـ «للحقيقة لم أنم جيداً هذه الليلة، وفكرت بتناول الفطور معك».

ـ «ولم كل هذا القلق؟ لا بد انك كنت تفكرين كثيراً ببروس، هيا، لا تقلقي، ستكتشفين قريباً كم كنت مصيباً بتحذيرك منه»

ـ «عندئذ ستُسرُّ كثيراً، اليس كذلك؟ قالت غاضبة. «اسمع ماتيوس فانسنت، انا فتاة كبيرة راشدة، واعرف

جيداً ماذا أفعل!».

ـ «نعم انت لا تتوقفين عن تكرار هذا حسناً، يجب أن اذهب الآن، اذا سارت الأمور جيداً، سأعود في نهاية الاسبوع».

ثم اضاف بسخرية «سلامي لبروس...».

هذا كثير، لم يعد بامكانها ان تتحمل اكثر، فأمسكت اول شيء وقع تحت يدها، وصادف انه كوب ماء فارغ. ورمته نحو رأس مات. لكنه كان قد خرج وأغلق الباب وراءه وتطاير حطام الكوب وسقط على الأرض.

كانت ريتا تنظف الارض عندما دخلت فيفيان إلى المطبخ:

ـ «ماذا جرى؟» سألتها بدهشة.

ـ «أوه، كسرت الكوب»، شرحت لها الفتاة «انا آسفة، سأشتري لك غيره».

ـ «وكيف وقع خلف الباب؟ اعتقد انني سمعتك تتشاجرين مع مات...».

ـ «للحقيقة، تبادلنا بعض الكلمات و... اخيراً، ازعجني لدرجة انني رميت الكوب بوجهه لكنه...».

قاطعتها فيفيان مبتسمة:

ـ «لا ضرورة لأن تشرحي لي اكثر. افهم ما تشعرين به. وقد فعلت تقريبا نفس الشيء ذات يوم في بداية زواجنا، ولكني لم أكسر كوباً، بل كسرت طبقاً في وجه زوجي! ولكن يا لها من كارثة، كان الطبق مليئاً بحساء البطاطا. هذا لقنني درساً: فأنا الآن انتبه جيداً كي لا افقد

اعصابي».

- «ولكني كنت اعتقد انك هادئة جداً، على العكس...».

- «اوه لا! انا املك طبعاً حاداً، وقد ورثه مات مني، هذا ما أخشاه. لقد فهمت بسهولة ان هناك شرارات بينكما، على كل حال، الحب لا يكون دائماً حديقة أزهار كما يقولون...»

- «الحب؟» سألتها ريتا وقد جحظت عيناها. «عم تتكلمين؟»

- «عنك وعن مات، بالتأكيد، فأنا لست عمياء، انت تعلمين...».

- «حسناً، ولكنك مخطئة! لا شيء بيني وبين مات، كما وانني اعتقد انه مغرم بروزالي جايمس. أتعرفينها؟»

- «أوه، نعم!» اجابتها فيفيان باحتقار «انها تركض خلف ماتيوس منذ مدة طويلة، ولكنه لا يعيرها اي اهتمام، انا متأكدة».

- «لو كنت مكانك لما صدقت ذلك، هاهما يرحلان معاً اليوم إلى لندن».

ظهر الاضطراب على وجه فيفيان فجأة.

- «ولكنه لم يقل لي شيئاً... للحقيقة، تفاجأت بسفره المتسرع. فهو من عادته ان يستعد جيداً قبل السفر. آه، اتساءل اذا كان يرسم لعبة ما... واخيراً، سنرى».

- «سأصعد لارتدي ملابسي الآن، لا اريد ان اتأخر، بروس سيصل بعد قليل».

للحقيقة، كان لديها متسع من الوقت لكنها كانت ترغب ان تتهرب من اسئلة فيفيان. أتأمل فيفيان بأن يقع ابنهابحب ريتا؟ ربما هي على علم بمغامرتها القديمة! وهذه الفكرة جعلت وجهها يحمر. اوه لا، كانت تفضل ان تحمل وحدها عبء هذا الفشل، ولا تريد أي عطف من زوجة ابيها.

دعا بروس ريتا مجدداً للخروج معه مساء الغد لكن الفتاة رفضت لانها تعلم انه من اجل الحفاظ على علاقتها الجيدة بمديرها يجب ان لا تقبل الخروج معه كثيراً، ومن جهة اخرى لم تكن قد نسيت تحذيرات مات منه.

لكن مساء الجمعة، ألح بروس بدعوتها حتى اقنعها. كان قد مضى ثلاثة ايام على رحيل مات ولا احداً يدري اذا كان سيعود في نهاية الاسبوع. وكانت ريتا ترغب بالترفيه عن نفسها قليلاً.

اختار بروس هذه المرة مطعماً آخر: انه مكان حميم باضواء خافتة وجو رومنسي. هذا المكان ليس مناسباً ليدعو سكرتيرته إليه، ومع ذلك، لم تعترض الفتاة. وكانت ترتدي ثوباً اصفر رائعاً وقد تركت شعرها يسترسل على كتفيها.

- «انت اجمل امرأة بين الحضور» قال لها بروس بلطف بينما كانا يتذوقان المقبلات. «انني رجل محظوظ بسكرتيرة مثلك».

- «هذا لطف منك، سيد برومبرتون» اجابته ريتا بمكر. «ولكن، قل لي، أمن عادتك ان تدعو سكرتيراتك إلى

العشاء، أم انك تمنح هذا الشرف لي فقط؟».

- «للحقيقة، انت الأولى. الأخريات كن جيدات جداً ولكن لا سبيل لمقارنتهن بك».

- «افترض ان هذا إطراءاً... إلا انني لا اظن انه من الأفضل لنا أن نخرج معاً كثيراً. لا يجب المزج بين العمل والمتعة».

- «بصورة عامة، انا اوافقك الرأي، ولكن لكل قاعدة استثناء».

- «ماذا تقصد؟»

- «انا أجدك فاتنة ورائعة، لا اخجل من الاعتراف بذلك، اتمنى فقط ان يكون العكس صحيح. كما وانني ارتاح معك! اشعر وكأنني اعرفك منذ مدة طويلة».

شعرت ريتا بالخفة ولولا تحذيرات مات لما شكت لحظة بصدق بروس.

- «لنكتفي بالخروج معاً من وقت لآخر فقط».

- «لماذا؟» أهناك شخص آخر في حياتك؟»

- «اوه لا»، اجابته بسرعة.

- «اتمنى ان لا يكون مات، على الأقل؟ لقد تصرف وكأنه يمتلكك ذلك المساء... ولكن...»

- «يا إلهي، مات هو ابن زوجة ابي!» قالت بضحكة مصطنعة.

«يبدو انك نسيت ذلك».

- «هذا صحيح، لم افكر بذلك». أجابها وقد بدا مطمئناً. مات كان دائماً يغار مني، وهو لا يفوت مناسبة

ليشعرني بذلك».

- «انا لا أوافقه رأيه بك».

- «هذا لطف منك». تمتم بروس وامسك يدها.

كانت تعلم بقرارة نفسها انه يجب عليها ان تسحب يدها من يده، لكنها لم تفعل. بروس رفيق لطيف، وحتى ولو كان يرسم أحلاماً فهي وحدها من يضع حداً لعلاقتهما، وبامكانها ذلك...

عندما أنهيا من العشاء، رقصا على انغام الغيتار الاسبانية.

كانت ريتا تشعر بالسعادة والاسترخاء وقد شربت القليل من الخمر. وضعت يدها على كتفه ولم تندهش عندما احاطها بذراعه وضمها إليه.

طريق العودة إلى جزيرة الستار كانت كالحلم: القمر يعكس اشعته الفضية على البحر والنجوم تتلألأ في السماء المخملية السوداء، فجأة احست ريتا ببروس ينحني نحوها ويبحث عن شفتيها.

- «أرجوك». همست بهدوء «دعنا لا نفسد هذه السهرة اللطيفة. انا سعيدة معك ولكني لست مستعدة لأي شيء آخر. ليس الآن على الأقل.

لكنها فيما بعد، عندما رافقها المحامي إلى المنزل لم تحاول ابعاده عنها.

- «إلى اللقاء صباح الاثنين». همس وهو يطبع قبلة على شفتيها»، كنت افضل ان أراك خلال عطلة الاسبوع، ولكني اعتقد بانك سترفضين.

- «نعم يجب أن لا نخرج معاً كثيراً».

«انت قاسية» قال بمرارة «ولكنك رائعة. على كل حال، انا أحذرك، اريد ان افوز بقلبك، واتمنى ان انجح». ثم طبع قبلة سريعة على شفتيها ورحل.

كانت ريتا تبحث في حقيبة يدها عن المفتاح عندما تفاجأت بقامة رجل قرب الباب، فانتفضت مذعورة.

- «يا له من وداع حار!» قال مات بسخرية «يبدو انك لم تهتمي بتحذيراتي». ثم فتح الباب واشعل النور ليتأمل الفتاة جيداً.

- «لماذا لم تخبرني بعودتك؟ سألته متلعثمة. «لو علمت، لكنت بقيت في المنزل لاستقبالك».

- «عدت عند الظهر» أجاب بجفاف «وكنت انوي دعوتك للخروج هذا المساء».

- «اذاً كان يجب عليك ان تعلمني قبلا كي لا ارتبط بموعد آخر، الان، أنا تعبة، سأصعد إلى غرفتي لأنام، تصبح على خير. . . .

- «ليس الآن!» قال بحدة وهو يمسك ذراعها بعنف». انا لا اشعر بالنعاس، وارغب بقضاء بعض الوقت معك. كما وانني لا احب ان يذهب انتظاري لك هباءً».

وقادها إلى الصالون حيث اجبرها على الجلوس على الكنبة.

- «أي دور تلعب الآن؟» صرخت غاضبة. «اتعتبر نفسك شقيقي الاكبر؟»

- «آه، فقط لو كنت اخاك» وتنهد بمرارة «على الاقل لما

كنت شعرت بهذا الاحساس».

- «ماذا تقصد». سألته بسذاجة. «هل انت غاضب لانني خرجت مع رجل آخر رغم ارادتك؟ ربما كنت تتمنى ان تكون ذلك الرجل الذي قبلني تحت ضوء القمر؟ ثم تظاهرت انها تحلم ومدت يديها.

- «كم كانت طريق العودة في المركب رائعة! وبروس، كم كان لطيفاً. . . لقد امضيت سهرة رائعة حقا!».

شتم مات ولغى ثم نهض ووضع اسطوانة هادئة امام دهشة ريتا.

- «انها موسيقى مناسبة، اليس كذلك، تعالي لنرقص!».

- «لا ارغب بذلك»، اجابته بحدة.

- «اما انا فأرغب بالرقص معك». امسك يدها واجبرها على النهوض. نظر اليها للحظات ثم ضمها إلى صدره بهدوء ولكن بحزم.

كانت الموسيقى هادئة والاغنية عاطفية، ارتبكت ريتا كثيراً وهي تشعر بجسد مات قريباً جداً من جسدها. لكنها سرعان ما استسلمت بين ذراعيه لذكرياتها القديمة معه. فكثيراً ما رقصا هكذا في الماضي، وكان مات يهمس باذنها بأعذب كلمات الحب، آه كم كانت ساذجة عندما صدقت ما كان يقوله في كل مرة. لكنها مع ذلك لا تزال تحبه. هو وحده القادر على اشعال احاسيسها ورغباتها.

- «لماذا تغمضين عينيك؟» سألها مات بسخرية «أتحاولين أن تتخيلي نفسك بين ذراعي بروس؟»

- «بروس أو أي رجل آخر! أي رجل إلا انت! لست ادري ماذا تريد، ولكنك لن تفوز بشيء».

- «تعلمين جيداً ما يجول برأسي» همس بحنان «نحن خلقنا الواحد من أجل الآخر، لماذا النفي؟ ارغب بك كما ترغبين بي تماما».

- «لا، هذا ليس صحيحا! انا اكرهك، ماتيوس فانسنت».

صرخت بوجهه «اكرهك من كل...».

لم تتمكن من انهاء كلامها لانه اطبق شفتيه بكل عنف، حاولت التخلص منه لكنها لم تتمكن.

استمرت الموسيقى وتحرك جسداهما ببطء بيما بقيت الشفاه ملتصقة في قبلة طويلة تحولت حدتها إلى رقة وعذوبة. ولكن مات ابتعد فجأة.

- «لم يقبلك بروس ابداً هكذا، اليس كذلك؟ سألها ضاحكاً.

- «وما ادراك انت؟» صرخت غاضبة «قبلني كثيراً هذا المساء».

- «بالتأكيد، رأيته بنفسي. ولكن قبلاته لم تكن كقبلاتي. ها أنت ترتجفين، بينما لم يكن يبدو على وجهك منذ قليل مثل هذه التعابير».

- «يبدو انك تتكلم كخبير بهذه الامور».

- «بالطبع، هيا قولي لي الحقيقة. من تفضلين، بروس أم أنا؟»

ودون ان يترك لها مجالا للاجابة، تناول شفتيها من

جديد. شعرت ريتا بان كل قواها تخونها بينما تولدت الرغبة في كيانها من جديد ولكن بعنف. فعقدت يديها خلف عنقه كي لا يتركها.

فهم مات اشارة التشجيع هذه فضمها اليه بشوق كبير وبادلها قبلة مليئة بالحب والحنان، وعندما تركها اخيراً، كانت تلهث ونظراتها تدل على مدى ارتباكها.

- «اذاً؟» سألها من جديد وهو يلهث ايضاً. من يُقبل أفضل بروس أم أنا؟»

- «أحقاً تريد ان تعرف؟ سألته بتحد. «حسناً، انه بروس».

على الفور بدا التهديد على وجه مات فنظرت إليه مرعوبة وفهمت انه حان الوقت للهرب منه. فأسرعت لتغادر الصالون، لكن مات تبعها بسرعة وشدها من كتفها بعنف واجبرها على النظر إليه، ثم امرها بحدة:

- «كرري ما قلتيه! لنرى اذا كانت لديك الجرأة! ولكن اذا تجرأت وفعلت، سأحطمك مئة قطعة!»

ثم دفعها عنه باشمئزاز وقال بصوت مخنوق:

- «الان، اذهبي للنوم!» صرخ بصوت اعلى. «اختفي من امامي قبل ان اتصرف بعنف اندم عليه!».

عندما دخلت ريتا إلى غرفتها، كان وجهها مبللا بالدموع، لم تكن قد فهمت غضب مات وعنفه، ولم تفهم سبب عداءه لبروس.

رمت نفسها على السرير واجهشت بالبكاء.

- «اوه، مات، كم احبك، ارجوك، اشرح لي ودعني احبك».

ولكن كيف يسمعها وقد عاد إلى الصالون؟ بعد ساعة تقريباً، سمعته يدخل إلى غرفته، تقلبت طويلا في الفراش دون ان تتمكن من النوم.

كانت كلمات مات تعود دائما لترن في اذنيها. لماذا يحاول اقناعها بانه لا يزال يحبها؟ انه دور قاس بالنسبة لها، هي التي لم تنس حبه يوماً. ثم هذه القدرة التي يملكها، انه الوحيد القادر على اثارة احاسيسها وهذا ما يخيفها. ما إن يضمها بين ذراعيه حتى تصبح كالدمية عديمة الارادة. لا هذه لعبة خطيرة لن تلعبها معه من جديد.

وبذلت جهداً كبيراً كي لا تدخل غرفته وترمي نفسها بين ذراعيه وتشرح له كم تحبه. لن تسمح لنفسها بذلك، هذا سيعذبها كما عذبها في الماضي واكثر.

تمكنت اخيراً من النوم، لكن مات لاحقها في الاحلام، احيانا كان يأتيها بدور العاشق المتيم، واحيانا يأتيها ليتركها تبكي وتتألم.

في لحظة، استيقظت ووجهها مليء بالدموع دون ان تفهم لماذا كانت تبكي. كان الوقت لا يزال باكرا والسماء صافية. فجأة، قررت ان تنزل إلى الشاطىء للاستحمام. ارتدت بنطلون شورت قصير فوق المايوه البيكيني ووضعت منشفة على كتفيها وغادرت المنزل بهدوء. يبدو ان الجميع لا يزالون نائمين.

«لا شيء اجمل من فجر هذا اليوم» فكرت بألم وهي تسير على الطريق الرملي المؤدي إلى الشاطىء. كان البحر

هادئاً يتلألأ تحت اشعة شمس الشروق. فخلعت ملابسها واسرعت ترمي نفسها في الماء.

كان الماء بارداً اكثر مما كانت تتوقع، ولكن بعد ان سبحت قليلاً اعتاد جسدها على حرارة المياه. فتركت نفسها بكسل على ظهرها. واخيراً عادت إلى الشاطىء وهي تشعر بالسلام.

كانت تنشف جسدها عندما لمحت مات يراقبها. من المستحيل التهرب منه لانه اقترب منها.

- «لماذا لم تأت لتسبح معي؟ المياه منعشة!» قالت له على الفور.

- «لم اكن اعلم انك تحبين السباحة في الصباح الباكر. كما وانه ليس من عادتك الاستيقاظ باكراً».

- «لم اتمكن من النوم جيداً».

- «ماذا ستفعلين اليوم؟ ليس لديك عمل كما واعتقد وبروس لن يطلب منك ساعات اضافية يوم السبت» عندما لفظ اسم المحامي قست ملامحه.

- «بالتأكيد لا! بروس مدير مدير جيد ولا يبالغ».

- «على صعيد العمل؟»

- «على كل الاصعدة» اجابته بحدة، وتساءلت لماذا يصر مات على اقحام بروس في كل حديث؟ لقد بدأت تندم على قبولها بالعمل مع بروس.

- «ايمكنك الابتعاد قليلا لابدل ملابسي؟»

- «بدلي ملابسك ولا تنزعجي» لكنه لم يتحرك من مكانه.

- «امامك انت؟ لا شكراً!»

بدا على مات وكانه يتسلى باغضابها، فانفجر غاضباً ثم ادار رأسه كصبي مطيع.

- «اذا كنت بحاجة للمساعدة لا تترددي في مناداتي».

لم يكن امام ريتا خيار آخر، فبدلت ملابسها بسرعة.

- «لقد انتهيت، بامكانك الالتفات نحو الامام».

تأملها مات طويلا.

- «كان يجب ان ترتدي ملابس اسمك. انت متجمدة. خذي قميصي».

ولم يترك لها مجالا للرفض فنزع قميصه بسرعة ووضعه على كتفيها. كان قميصه لا يزال يحتفظ بدفء جسده، فأحست الفتاة بتلك الرعشة التي لا يمكنها السيطرة عليها. شعرت وكأن مات يضمها إليه وهي تتنشق رائحة عطره التي تعبق من قميصه.

- «هكذا أفضل؟» سألته بابتسامة ودودة.

ردت له ابتسامته بابتسامة مثلها: ان رؤية صدره العاري جعلتها ترتعش فجأة. اوه، فقط لو استطيع تحسس صدره! ولكنها بدل ان تعبر عن مشاعرها صرخت:

- «ما رأيك لو نتسابق حتى المنزل؟ موافق؟» وكانت تعلم انها لن تسبقه، ولكن هذا ليس مهماً. تريد بأي ثمن أن تتخلص من هذا الانفعال الذي يكاد يدفعها للاستسلام لمات.

- «موافق، ولكن انطلقي انت اولاً، أمنحك خمس دقائق لتتقدمي عليّ».

ومع ذلك، وصل مات إلى مستواها قبل أن يصلا إلى المنعطف المؤدي إلى المنزل، فأحاط كتفيها بذراعه ووجد انها تلهث:

- «اتريدين أن أجرك؟» سألها ضاحكاً.

- «على كل حال، الركض دفئني». وانفجرت ضاحكة بدورها، وتابعا طريقهما ومات لا يزال يحيط قامتها بذراعه.

«لو انني اقضي بقية حياتي هكذا» فكرت ريتا بمرارة، «قد يكون هناك أمل استعادة ثقتي به».

عندما دخلا المنزل كان باتريك وفيفيان يشربان القهوة ولم يخفيا فرحتهما برؤيتهما معاً.

- «الديكما مشاريع لهذا اليوم، انتما الاثنان؟» سأل باتريك ابنته.

- «لا، لماذا؟ لقد التقينا صدفة على الشاطىء. لا بد أن مات مشغول اليوم، اما أنا، فأفكر بالذهاب الى تريسكو، منذ وصولي لم تسنح لي الفرصة لزيارتها».

- «وكيف ستذهبين؟» تدخل مات. انت لا تفكرين بأخذ المركب كما حصل ذلك اليوم؟».

- «كنت افكر بأن اطلب من والدي ان يرافقني» اجابته ريتا متجاهلة سخريته «اهذا ممكن يا ابي؟»

- «كنت اتمنى ذلك، ولكن لدي موعد انا وفيفيان في المدينة».

- «في هذه الحالة، سأكون دليلك»، قال مات مبتسماً، «لا شيء يسعدني اكثر من ذلك».

كان يبدو صادقاً ولم يكن لدى ريتا أي عذر للرفض.

- «تريسكو، حديقة جزر سيلي العجيبة» قال مات، عندما اقترب المركب من الجزيرة.

كانت الجزيرة مميزة بأشجار الصنوبر والسرو التي تشكل سياجات تحيط بالحدائق لتحميها من الرياح.

اوقف مات المركب في «كارن نير» احد الأماكن الثلاثة التي يمكن الرسو فيها. يبدو انه الاكثر خطورة اثناء فصل الرياح لأنه غير محمي ابداً.

- «لحسن الحظ، البحر هادىء اليوم. هذا أقرب مكان للحدائق». قال مات «اعتقد ان هذا المكان الذي ترغبين بزيارته، اليس كذلك؟»

- «نعم، لقد سمعت الكثير عنه. يبدو انهم يزرعون في هذه الحدائق النباتات التي لا يمكن زرعها في حدائق لندن».

- «هذا صحيح، فنحن نتمتع هنا بمناخ معتدل نسبياً، ولا يتساقط الثلج هنا ابداً».

تابعا حديثهما وهما يسلكان ممراً مؤدياً إلى الحدائق، ثم اشترى مات تذاكر زيارة الحدائق بينما وقفت ريتا تتأمل خرائط مجسمة للمنطقة البحرية والجزر ومجسمات للمراكب التي غرقت حول هذه الجزر.

- «كل هذه المراكب غرقت في هذه المنطقة؟» سألته ريتا عندما انضم اليها.

- «نعم، كلها غرقت بين القرن الثامن عشر وظهور المراكب البخارية».

- «مؤسف جداً ان تكون هذه الجزر الجميلة بدون رحمة لهذه الدرجة!»

- «انه قانون الطبيعة، والان، هيا بنا لزيارة الحدائق. ولنر اذا كان بامكاننا ان نحصي انواع النباتات التي يبلغ عددها نحو ستة الاف نوع!» قال مات ضاحكاً وهو يمسك يد رفيقته.

قضت ريتا نهاراً رائعاً، كان مات يتصرف كصديق ولم يحاول ان يطلب منها شيئاً كي لا يزعجها. لأول مرة منذ ان التقيا مجدداً، احست بالاطمئنان الى جانبه، واثناء طريق العودة تمنت أن يقبلها. لكنه لم يفعل وحافظ على مرحه حتى وصولهما إلى المنزل. وشعرت بخيبة كبيرة عندما رأت مات يدخل مباشرة إلى غرفته.

قضت ريتا بقية النهار مع والدها، ثم اتجهت إلى غرفتها لتستحم قبل العشاء. توقفت لحظة امام باب غرفته لكنها لم تسمع شيئاً. اين هو اذاً؟ ايكون نائماً. أقلقها اختفاءه المفاجىء وقررت ان تكون انيقة بشكل مميز للفت نظره اثناء العشاء. هكذا تشكر مات على لطفه معها هذا اليوم. اختارت ثوباً قطنياً لونه اصفر لم تكن قد ارتدته منذ وصولها إلى الجزيرة، وكان الثوب جميلاً يظهر رشاقتها وساقيها الطويلين. ثم سرحت شعرها واكتفت بقليل من البودرة واحمر الشفاه وتأملت نفسها طويلا امام المرآة، كانت عيناها مشرقتين. هذا المساء، تريد ان تكون الأجمل في نظره. . . .

كان والدها وفيفيان وحدهما في غرفة الجلوس عندما

انضمت اليهما.

- «اين هو مات؟» سألتهما على الفور.

- «ألم يخبرك؟» سألتها فيفيان بدهشة. «انه على موعد مع روزالي، هذا المساء».

حاولت ريتا ان تخفي خيبة أملها.

- «كنت اعتقد انها لا تزال في لندن». قالت متلعثمة رغماً عنها.

- «يبدو انها عادت» اجابتها فيفيان باحتقار «مات لا يتكلم عنها ابداً».

تناولت ريتا عشاءها بصمت وبذلت جهداً كبيراً كي تظهر مرحة بينما حاول والدها وفيفيان تسليتها.

هذه الليلة ايضا لم تنم ريتا جيداً، كانت صورت مات وروزالي تعذبها ولم تتمكن من طردها من رأسها. وعندما استيقظت في اليوم التالي، كانت تشعر بصداع مؤلم.

نزلت إلى المطبخ لتناول فطورها فوجدت مات هناك، فدعاها من جديد لقضاء النهار معه.

- «ولكن روزالي؟» سألته بدون تفكير.

رأت مات يعقد حاجبيه وقد قست نظرته. لكنه قال بلهجة جافة:

- «لو كنت ارغب بالخروج مع روزالي، لكنت طلبت منها ذلك مساء امس، الآن، منك انت اطلب ذلك».

أخفضت رأسها وقالت بخجل وضعف:

- «لست على ما يرام. اريد أن أتناول حبة للصداع واتمدد قليلاً».

ثم ودون ان تضيف كلمة اخرى، صعدت ريتا الى غرفتها وقلبها يدق بسرعة، كان رأسها يؤلمها حقاً، لكن أهذا سبب كاف لترفض دعوة مات؟ السبب الحقيقي لرفضها هو شعورها بالغيرة، فهي لا تتحمل فكرة ان يخرج مات مع روزالي بالامس، ليخرج معها اليوم بعد ان خيب أملها بقضاء السهرة معه بالامس.

- «ادخل!» اجابت وهي تعلم جيداً انه مات، واخذت ترتجف.

وضع مات يده على كتفها وسألها بحنان وقلق:

- «انت متعبة حقاً؟ اذا كان هذا ألم رأس فقط، فان الهواء المنعش يناسبك، أؤكد لك. اذا اردت، بامكاننا القيام بنزهة في المركب وتناول الغذاء في البحر».

ترددت ريتا لحظة لكن عرض مات مغر. فابعدت صورة روزالي بسرعة من رأسها وابتسمت له ابتسامة ضعيفة.

- «ربما انت على حق».

- «رائع!» قال باشراق. «والان، هيا انهضي لتتناولي فطورك بينما اعد سلة الزاد».

كانت ريتا متأكدة ان هذا النهار سيكون كسابقه ولم يحصل اي صدام بينهما. وعند الظهر تناولا وجبه الغداء اللذيذة المؤلفة من عدة انواع من السلطة ومن الدجاج البارد والحلوى التي تتميز بها فيفيان، كل هذا مع زجاجة نبيذ حرص مات على احضارها معه. ولكن بعد الغداء، وبتأثير الشمس والخمر، أحست ريتا ببعض التوتر، فرتبت السلة وبقايا الطعام ثم طلبت من مات ان يسمح لها بقيادة

المركب.

وافق مات بدون أي تردد وترك لها مكانه خلف المفود وذهب ليجلس بعيداً ويقرأ الصحيفة، يبدو انه مقتنع بقدرتها على التصرف وحدها.

لاحظت ريتا بعد قليل سواحل صخرية وقبل ان تتصرف، سمعت اصطداماً تحت هيكل المركب، فأدارت وجهها بخوف نحو مات، بينما قفز هو الأخير مسرعاً ليغير وجهة المركب.

- «يا إلهي!» صرخ وهو يدير الدفة وظل صامتاً لحظات يطرق السمع لأدنى ضجيج. واخيراً، وعندما تأكد من ذهاب الخطر، أضاف غاضباً:

- «الم يكن بامكانك ان تنظري إلى الأمام؟ أمن المستحيل اذاً أن أثق بك دقيقتين فقط؟»

- «اوه، انا آسفة... لم أتخيل وجود صخور هنا، أتعتقد بأنني تسببت باضرار بالغة في المركب؟»

- «اتمنى ان لا! لو كان القعر تضرر لوجدنا الماء على السطح، على كل حال، من الافضل أن نعود».

بينما كان يدير وجهة المركب، فكرت ريتا أن التوتر عاد بينهما، وان الصداقة التي نشأت بينهما خلال الساعات الأخيرة قد تحطمت بلحظة واحدة، وكل هذا بسبب غبائها وعدم خبرتها. بعد قليل من الصمت قررت ان تبذل جهداً للترويح عن نفس رفيقها.

- «اوه، مات، ارجوك، لا تغضب مني فانا لم أفعل هذا عن قصد».

فنظر اليها بقسوة.

- «أيجب عليّ أن أهنئك؟ افهميني، كنت اتقابل واعتقد ان بامكاني ان أعمد بالمركب اليك لكنني كنت مخطئاً».

- «نعم ولكن لم يكن هناك ما يشير إلى وجود صخور قريبة من سطح الماء».

- «اوه أنت لا تعرفين ميزة هذه الجزر؟»

- «ارجوك مات ان تقبل اعتذاري. انا مستعدة لدفع قيمة التصليحات اذا كانت الاضرار بالغة».

- «انها ليست مسألة المال التي تهمني، انت فقط خيب املي بك. كنت اثق بك».

شعرت ببعض السعادة عند سماعه يتفوه بهذه الكلمات، فاضافت بهدوء:

- «مات. الخطأ من سمات البشر... سأحاول جهدي أن لا أخيب املك بعد اليوم».

واخيراً ظهرت ابتسامة خفيفة على وجه مات، فاطمئنت ريتا ووضعت يدها على ذراعه.

- «شكراً». تمتمت بخجل «لا اتحمل فكرة أن تكون غاضباً مني».

- «حسناً». قال وهو يربت على يدها، «لقد نسيت الموضوع كله».

تمددت ريتا بسعادة على السطح، وما هي الا لحظات حتى نامت ولم تستيقظ إلا عندما أحست بوجود مات إلى جانبها.

- «تبدين بحالة جيدة. ارغب بالتمدد تحت اشعة

الشمس أنا أيضاً. المياه مطمئنة في هذه المنطقة، وقد شغلت القبطان الآلي».

لم تجبه ريتا وتظاهرت بالنوم، ولكن عندما لامست ساقه ساقها، اخذ قلبها يدق بجنون. كانت تتأمل أن لا يلاحظ شيئاً وظلت بلا حراك إلى أن داعب مات كتفيها، ففتحت عينيها وتساءلت ما الذي سيلي ذلك. ضمها مات إلى صدره ونظر مباشرة إلى عينيها وكأنه يحاول تحذيرها وهمس:

- «أيزعجك أن أضمك؟»

كانت عاجزة عن الكلام، فهزت رأسها ببطء نحو اليمين واليسار واغمضت عينيها من جديد عندما أحست بجسد مات يضغط على جسدها. وفجأة عُقدت يداها حول عنقه بدون وعي منها وجذبتا رأس ماتس إليها. واخذت شفتاها تبحثان عن شفتي رفيقها في قبلة حالمة مثيرة. لم تعد تهتم الان بنتائج تصرفها هذا، كل ما يهمها هو أن تطفيء نار الرغبة التي تشتعل في كيانها.

دفعها مات عنه فجأة، فشعرت وكأنها تلقت دلو ماء بارد على رأسها. ونهضت دفعة واحدة وجحظت عيناها من الدهشة.

- «لم اكن اعتقد انك مخادعة لهذه الدرجة» رماها مات باحتقار.

- «ماذا تعني؟» سألت متلعثمة عاجزة عن الفهم.

- «هيا انا افهم هذه اللعبة جيداً! انت تريدين المقارنة بيني وبين بروس، أليس كذلك؟ بعد ذلك تختارين

الافضل!»

- ولكن انت مجنون!» صرخت بذهول، «لا شيء بيني وبين بروس، صدقني».

لكنه قاطعها بقسوة:

- «انا اعرفك جيداً واعرف بروس ايضا، فلا ضرورة لرواية سخافات لن اصدقها ابداً».

لم تتمكن ريتا من التفوه بأية كلمة امام اتهامات مات، ولابد انه اعتبر صمتها دليلاً على ذنبها، فنهض واتجه نحو مقدمة المركب.

وصلا إلى جزيرة الستار بسرعة كبيرة، كانت ريتا تنظر إلى البحر بعينين شاردتين غير قادرة على فهم اسباب هذا المشهد السخيف الغامض الذي دار بينهما. يا إلهي، كم هي نادمة لانها قدمت نفسها بكل ضعف لمات! انه يقلب الامور دائما إلى مصلحته، وكأنه يسعد بتعذيبها وبتقبيح صورتها في نظره.

لكن فكرة عزتها واستها: «غداً ستذهب إلى العمل في المكتب بعيداً عن مات. لقد قررت الان نهائياً ان تتجنبه لانه بات من المستحيل ان يجمع المستقبل بينهما.

في اليوم التالي، كانت ريتا تحاول عبثاً التركيز على عملها عندما أحست بنظرات بروس منصبة عليها.

- «ريتا، انت لست على عادتك اليوم، أهناك ما يزعجك؟»

فابتسمت بشحوب:

- «لم انم جيداً مساء امس».

- «ماذا فعلت اثناء الاجازة؟»

- «اوه، زرت تريسكو نهار السبت، يا له من مكان رائع! أخذني مات...»

- «زرت تريسكو معه؟» قاطعها بروس وقد اكفهر وجهه فجأة. «كنت اعتقد انه في لندن... خرجتما معاً بالأمس ايضاً؟»

هزت ريتا رأسها بينما شردت نظراتها.

- «لا شيء بيني وبين مات، سبق ان شرحت لك ذلك». لكن نبرة صوتها لم تكن مقنعة ابداً.

- «اتمنى ان اصدقك». قال المحامي متنهداً. «لكنني متأكد ان حزنك اليوم له علاقة بمات».

سكت بروس وتابعت ريتا عملها محاولة ان تنسى مشاعرها. وعندما حان موعد اقفال المكتب، اقترح بروس على الفتاة ان يتناولا العشاء معاً، فوافقت على الفور لانها رأت بهذه الدعوة عذراً جيداً لتجنب مات على العشاء. اتصلت بأبيها هاتفياً لتخبره بانها ستتأخر في العودة. طلب منها بروس أن ترافقه إلى منزله ليبدل ملابسه قبل الخروج.

- «لم يكن من الضروري ان تبدل انت ملابسك بينما ابقى أنا في هذا الثوب البسيط». قالت له الفتاة وهما يدخلان إلى شقته الحديثة.

- «حسناً، بامكاننا أن نتناول العشاء هنا». اقترح المحامي على الفور، «لدي هنا كل ما نحتاج إليه. سترين، انا لست سيئاً جداً في فن الطهي».

ترددت ريتا: كانت تعلم ان بروس معجب بها، وأقل

هفوة قد تحول هذه السهرة إلى لقاء عاطفي، وهذا ما لا تريده بأي ثمن. الا انها احست فعلا بعدم القدرة على الذهاب الى اي مطعم بهذا الثوب مما اضطرها للموافقة.

- «حسناً»، أجابته ضاحكة. «ارشدني إلى المطبخ، سأعد المائدة وأساعدك في تحضير الطعام».

وبالفعل، اعدت الطاولة وزينتها ببعض الازهار التي قطفتها من حديقة منزله، لكنها عندما دخلت مجدداً إلى المطبخ لتساعده رفض:

- «لا، ابقي في الصالون واستمعي إلى الموسيقى اذا كنت ترغبين».

استنتجت ريتا انه لم يكن يبالغ عندما ادعى انه يجيد الطهي، لقد أعدّ طبقاً من الحساء والبطاطا والسلطة ثم احضر الحلوى التي كان يحتفظ بها في ثلاجته.

شربا النبيذ مع الطعام ثم شربا الكونياك واخيراً القهوة. وبعد أن نظفا المائدة عادا إلى الصالون وجلسا على الكنبة يستمعان إلى الموسيقى. ظلت ريتا على حذرها وعندما اقترب بروس منها ابتعدت بلطف:

- «ارجوك، لا تحاول، اعطني فرصة للـ...»

- «اذاً تتركين لي أملاً»، قاطعها مبتسماً. «اوه، لا تقلقي، اذا لم يكن هناك شخص آخر في حياتك، سأعرف كيف اكون صبوراً».

ولم يحاول القيام بأية حركة بقية السهرة. وعندما طلبت منه أن يعيدها إلى المنزل، لم يحاول أن يبقيها رغماً عنها، فنهض على الفور وعاملها بكل ادب اثناء العودة مما

ادهشها اكثر حول موقف مات منه. كما وانها تشعر مع بروس بالثقة اكثر مما تشعر بها مع مات نفسه. عند وصولها إلى المنزل، التفتت نحوه لتقبله شاكرة:

- «لماذا لا تدخل وتشرب معنا فنجان قهوة، والدي فيفيان سيكونان سعيدين جداً بالتعرف اليك».

في الظلام، لم تلاحظ ارتباكه، لكن صوته كان يخفي بعض التوتر.

- «لا شكراً... افضل العودة الان، إلى اللقاء صباح غد يا عزيزتي».

اضاف وهو يقبلها بحرارة أكبر مما جعل الفتاة تتراجع. لا، انها ليست مستعدة لاقامة علاقة حميمة مع بروس، ولكن لولا وجود مات لكانت هذه الفكرة اعجبتها. فالمحامي، رجل لطيف ذكي مثقف ووسيم. ربما ذات يوم...

في صباح اليوم التالي، تفاجأت كثيراً عندما اخبرها والدها أثناء تناول الفطور انه سيعود إلى لندن مع زوجته لقضاء بضعة ايام هناك، فهو مضطر لتوقيع عقد بيع المنزل وتسوية بعض المسائل المهمة.

- «ولكن لماذا لم تخبرني قبلا؟» سألته بدهشة. «لكنت اتخذت التدابير لأعود معك. لقد تركت اشياء كثيرة في المنزل...»

- «بامكانك الانضمام الينا في اجازة نهاية الاسبوع. سيكون مات سعيداً بمرافقتك، انا متأكد».

رغبت ريتا بالاعتراض لكنها رأت انه من الافضل عدم

الاجابة:

- «متى ستذهبان؟»

- «قبل الظهر. لن نكون هنا عند عودتك من العمل. كنت اريد ان اخبرك بذلك مساء امس، لكنك تأخرت في العودة. بالمناسبة، كيف كانت سهرتك؟»

- «لطيفة جداً، تناولنا العشاء عند بروس، لقد اعد وجبة ممتازة فعلاً. الأمرأة التي ستتزوجه ستكون محظوظة بزوج يجيد الطهي».

- «ألا تفكرين بنفسك وانت تقولين هذا؟ سألها والدها وقد عقد حاجبيه فجأة.

- «ولكن لا!» أجابته ضاحكة. «انا وبروس متفاهمان، لكن الامور لا تتعدى الصداقة. حسناً، يجب أن أذهب الان». قالت وهي تنهض، ثم قبلت والدها بحنان واضافت: «سأفتقدك كثيراً، يا ابي العزيز، لا تتأخر...».

فابتسم والدها بحنان:

- «حاولي ان تنضمي الينا آخر الاسبوع، سيسعدنا ذلك».

هذا النهار كان مليئاً بالعمل في المكتب، وريتا لم تر بروس تقريباً لانه كان مشغولاً باستمرار مع الزبائن، وبالفعل كان مع أحدهم.

عندما حان موعد الاقفال. كانت ريتا تنظر بفارغ الصبر أن ينتهي من آخر زبون معه لانه ليس لديها وسيلة أخرى للعودة. فجأة فُتح الباب واستعدت ريتا لاستقبال زبون آخر وقد قررت ان تطلب منه العودة غداً، لكن الزائر كان مات.

ـ «مررت لاعيدك إلى المنزل اذاا كنت لا تمانعين».
قال بهدوء «الا اذا كنت تفضلين العودة مع بروس».

كانت ريتا تفكر وتتساءل كيف ستمضي هذه الايام وحدها مع مات اثناء غياب والدها ووالدته ولم تكن تريد خلق مشاكل اضافية معه، لذلك قبلت عرضه على الفور.

ـ «اسمح لي اولا أن اترك كلمة لبروس اخبره فيها عن ذهابي معك».

عندما وصلا إلى المنزل، قال مات بمكر:

ـ «هام نحن مضطران لقضاء السهرة وحدنا، اتعتقدين انه بامكانك ان تتحملي وجودي؟»

ـ «اذا كنت انت قادر على تحملي، فأنا ايضاً سأكون قادرة على تحملك» «ماذا تريدين ان اعد لك من الطعام؟».

ـ «أي شيء المهم ان لا يكون معقداً. سأستحم الآن وعندما تنتهي نادني».

انزعجت ريتا لانه لم يعرض عليها المساعدة، فهي ايضاً كانت تعمل طوال النهار وكانت تفضل الاستحمام اولاً. ولكنها لم تستسلم لافكارها هذه واسرعت إلى المطبخ تعد المائدة. كانت تخفق البيض بقوة عندما دخل مات إلى المطبخ:

ـ «تبدين وكأنك تنتقمين من هذه البيضات»، قال ممازحاً «ايزعجك ان تعدي العشاء لي؟» ام انك تفتقدين لمهارة بروس وعشائه العاطفي؟ اوه»، اضاف امام نظرات ريتا الغاضبة «لا تقلقي، فأنا لم اتجسس عليكما، لكن والدك هو الذي اخبرني. اذا كنت قد فهمت جيداً، فإن

بروس قد سجل نقطة لصالحه، يبدو انه يتصرف جيداً معك!»

ـ «لا تتكلم عنه باحتقار هكذا، بروس لطيف دائماً معي، ولا اريد أن أسمع شيئاً سيئاً عنه».

ـ «انه رجل محظوظ». قال مات بسخرية وهو يقترب منها: «أتريدين أن اخفق البيض بدلاً منك، فأنا أعرف جيداً كيف أصنع العجة».

ـ «لا شكراً، لقد انتهيت... اذا كنت تريد المساعة، افتح زجاجة النبيذ».

ـ «يبدو انني لا انفع في المطبخ، اليس كذلك؟»..

كان يحاول المزاح، لكن ريتا لم ترغب بمبادلته مزاحه، واكتفت بالنظر إليه بتحد.

انسحب مات من المطبخ. فاستعادت هدوءها. يبدو انه في كل مرة يجتمعان فيها، يحاول مات ان يفقدها اعصابها! وهو بالتأكيد يتعمد ذلك! لكنه هذا المساء لن ينجح، لأنها قررت أن تقضي السهرة بسلام طالما أن الظروف تجبرها على البقاء معاً هذه الايام، ولن تمنحه فرصة افقادها اعصابها.

كانت السهرة لطيفة بالفعل ولم يحصل اي اصطدام بينهما، تكلم مات طويلاً عن عمله ووعد ريتا ان يصطحبها لزيارة متحف ومختبر سانت أغنيز في اول فرصة.

ـ «من المؤسف انك بدأت بالعمل بسرعة. كان بامكاننا أن نقضي معاً وقتاً أكثر. هناك اشياء كثيرة كنت اتمنى أن أريك اياها».

- «لو لم أعمل لكنت سأضيع وقتك، كما وانني سعيدة بعملي».

- «هل انت متأكدة ان العمل هو الذي يعجبك وليس صاحب العمل؟».

كانت ريتا مصممة على عدم الدخول في نقاش سينتهي بشكل سيء، فأجابته بهدوء:

- «انا لم اكن اعرف بروس عندما قبلت بهذا العمل. نحن متفاهمان هذا كل ما في الأمر».

هز مات كتفيه ولكن عن غير اقتناع، وسألها كأنه يريد أن يغير الموضوع:

- «أتريدين كأساً آخر؟»

سرت ريتا لأنه انهى هذا الموضوع الشائك وقبلت على الفور.

- «بكل سرور وانت، اتريد سندويشاً قبل إن تذهب للنوم؟»

- «فكرة جيدة، ولكني أنا سأهتم بذلك، ابقي انت هنا».

عاد بعد دقائق يحمل طبقاً فيه سندويشات صغيرة، فنظرت إليه باعجاب.

- «كما ترين، أنا أيضاً اجيد التصرف في المطبخ، حتى ولو كان الأمر بسيطاً كاعداد السندويشات».

ثم وضع الطبق من يده وجلس بالقرب من ريتا، وكانت ريتا قد بدلت ملابسها بهذا الوقت وارتدت قميص نوم من الحرير وسرحت شعرها. عندما انهت السندويش لاحظت

أن مات يحدق بها:

- «هل بدلت ملابسك من اجلي؟» سألها بصوت عذب.

عقدت ريتا حاجبيها وقد فاجأها سؤاله:

- «يا له من سؤال غريب! لا، بالتأكيد. ولكن اذا كانت هذه الملابس تعجبك»، اضافت مبتسمة «فهذا يسعدني».

- «للحقيقة اجدك فاتنة مغرية». قال وهو يتأملها بعينيه اللامعتين.

احست ريتا بقلبها يدق بسرعة تحت نظرات الرغبة في عينيه، وقررت ان تنسحب إلى غرفتها قبل أن يفوت الاوان. لكن يبدو أن مات فهم حقيقة افكارها، فوضع يده على ذراعها وهمس بلطف:

- «أتخافين مني؟»

- «لا... انا فقط متعبة وأريد أن أنام».

- «واذا توسلت اليك ان تبقي قليلاً معي، أترفضين؟ سألها وهو يداعب ذراعها.

- «أأملك الخيار؟».

- «لا، هذا صحيح» قال ضاحكاً بطريقة او بأخرى أحصل دائماً على ما أرغب به».

ارتبكت ريتا وتناولت كأسها، لكن مات أخذه من يدها وأعاده الى الطاولة الصغيرة وامسك ذقنها بلطف واجبرها على النظر إليه وبكل هدوء احنى وجهه نحو وجهها وبحث عن شفتيها. ابتعدت ريتا بسرعة لانها تذكرت المشهد الذي حصل بينهما على المركب.

- «الا تريدين أن أقبلك؟ في الماضي لم تكوني تقولين

لا. حتى وان قبلاتي كانت تثيرك». وداعبت اصابعه عنقها.

- «هيا، ريتا... اجيبي».

لم تكن ريتا قادرة على الكذب فهزت رأسها وتحملت نظراته.

- «اذاً، ماذا بك هذا المساء؟ لا تقولي لي بانك تفضلين مداعبات بروس، فأنا لن اصدقك».

- «بروس لم يداعبني ابداً».

- «ولكنه قبلك».

- «رأيت ذلك بنفسك».

- «وهل هذا يعجبك؟».

نهضت ريتا بانزعاج:

- «ما معنى هذا الاستجواب. مشاعري نحو بروس لا تعنيك انت».

- «كل ما ارغب به ان تفتحي عينيك جيداً. انت تعرفين انني احتقر بروس، وارفض ان تسمحي لنفسك بالانجراف إلى وضع لن تتمكني من السيطرة على نفسك بعده».

- «مرة ثانية تعتبرني غير قادة على الاهتمام بنفسي».

- «لا، ولكني اعرف بروس جيداً. بامكانه أن يكون مقنعاً، ولديه الكثير من الاغراء، هيا، اصغي الي وانتبهي، واعرفي على ما انت قادمة».

- «لو انني افهم سبب كرهك له، لكنت اتبعت نصائحك بحذافيرها».

لكن مات لم يجبها بشيء، ودس يده في شعرها وتنهد

بعمق وجذبها إلى صدره بيأس باحثاً عن شفتيها وقد اشتعلت نظراته بحريق الرغبة.

اغمضت ريتا عينيها وحاولت ان لا تتأثر رغم حاجتها الملحة لشفتيه ولمساته. لكن لمساته اصبحت اكثر جرأة فأحست الفتاة بالثمل والألم... واستسلمت لقبلاته...

فجأة، عاد اليها عقلها فهمت:

- «توقف، مات، ارجوك!».

ابتعد عنها قليلاً لينظر إلى عينيها. ولكنه سرعان ما ابتسم بسخرية:

- «اتريدين ان تقولي بأن قبلاتي ولمساتي لا تعجبك؟»

- «لا... ليس الامر كذلك... لا يجب... لا يحق لنا، فكر بأهلنا! لقد منحانا ثقتهما وتركانا وحدنا هنا، لا يمكننا ان نخيب أملهما...».

اتسعت ابتسامة مات.

- «مسكينة انت ريتا! اكنت تعتقدين حقاً انني سأبتعد الى اكثر من هذا...؟».

احست بخديها يشتعلان:

- «بالتأكيد لا! لم افكر بشيء مماثل!».

- «اذاً لماذا رجوتني ان اتوقف؟» سألها بمكر.

- «لإن... اخيراً، لانني».

- «لانك كنت خائفة من انفعالاتك؟ وربما كنت تعرفين انك ستفقدين السيطرة على مشاعرك؟»

اخفضت ريتا رأسها: مات على حق ولا سبيل للاعتراض.

ـ «فكر بما شئت، هذا لا يهمني».

نهض مات فجأة واشعل سيجارة، ثم تأملها طويلا وقال:

ـ «اريد أن اطلب منك خدمة. لقد دعوت بعض الاصدقاء لتناول العشاء هنا مساء يوم الخميس، أحب ان تقومي انت بدور سيدة المنزل».

هبت ريتا واقفة. ان لعبة مات تبدو لها واضحة: كان يعتقد انه سيضمن موافقتها عن طريق الغزل والمداعبة، لكنه مخطىء تماماً!.

ـ «لا سبيل لذلك، اذا كنت قد دعوت اصدقاءك، فانت من سيهتم بهم، كما وانني مرتبطة مساء الخميس». كانت تكذب لكنها تعرف ان بروس لن يرفض الخروج معها اذا طلبت منه ذلك.

ـ «بهذه الحالة، إلغي موعدك». قال مات ببرود «واذا كان موعدك مع بروس، بامكانك ان تدعيه للحضور».

ـ «لا كما وانني لا ارغب برؤية روزالي التي ستكون مدعوة بالطبع».

ـ «انت تغارين؟ سألها بمكر.

ـ «انا لا احبها، هذا كل ما في الامر. من دعوت غيرها؟».

ـ «اريكا باويل وزوجها، هما اصدقاء لروزالي، وسيعجبانك بالتأكيد».

ـ «تبدو متأكداً من ذوقي!».

ـ «هذا لانني اعرفك اكثر مما تتخيلين. وانا اؤكد لك

انك سترجعين عن رفضك حضور حفلتي».

ـ «يبدو انك تنوي اجباري! اية وسيلة ستستعمل؟»

ـ «لست ادري بعد، اتفضلين العنف أو الرقة؟»

تراجعت بسرعة واتجهت نحو الباب.

«انا آسفة لن اغير رأيي، بامكانك أن تطلب من روزالي ان تقوم بدوري. هذا سيسعدها، بالتأكيد، الا اذا كنت لا تعرف كيف تتصرف في المطبخ. وقد يكون هذا هو السبب الذي دفعك للتوجه إلي».

وخرجت من الصالون وصفقت الباب وراءها. لكنها كانت تعلم بان مات لا يقبل بالهزيمة بسهولة. وبالفعل، ما إن وصلت إلى السلم حتى سمعت صوته يناديها بحدة:

ـ «ريتا لن تنامي قبل تسوية هذه المسألة».

ـ «سبق أن اعطيتك جوابي، انه واضح».

تقدم نحوها وعيناه تلمعان ببريق مخيف.

ـ «رجوتك ان تقدمي لي خدمة صغيرة فلماذا كل هذا؟ بصراحة انا لا افهم موقفك!».

ـ «ماذا؟» صرخت غاضبة «انك انت الغريب حقا، لست ادري ماذا تريد! انك تغير موقفك وتصرفاتك معي بدون توقف!».

ـ «حسناً، لنضع النقاط على الحروف هذه المرة. مشاعري نحوك لم تتغير أبداً ولن تتغير. اذا كان احدنا قد تغير، فهو انتِ... والآن، لنعد إلى موضوعنا. اتقبلين مساعدتي مساء الخميس؟»

فجأة اربكتها النظرات التي تلتهمها، وفهمت انها غير

قادرة على الرفض. فاخفضت رأسها وتمتمت:

ـ «حسناً، مع ان هذا لا يسعدني حقاً، ولكني سأساعدك، طالما انك مصر».

ـ «شكراً قال مبتسماً «كنت اعلم انه بامكاني الاعتماد عليك».

ـ «بالنسبة للطعام، الديك فكرة ام انك ستترك لي حرية الاختيار؟»

ـ «بصراحة، ليس لدي أية فكرة... اوه، افعلي ما تريدينه. انت تعرفين ذوقي و، مهما أعددت، أنا واثق ان ضيوفي سيعجبون به. حسناً، تصبحين على خير، اضاف وهو يطبع قبلة على انفها. «نامي جيداً».

تنهدت ريتا وهي تدخل غرفتها، اخيراً ليست مستاءة لأنها وافقت على تحمل مسؤولية هذا العشاء. انه تحد مسل، وستثبت لمات انها على مستوى هذا الدور الذي طلبه لتقوم به. النقطة السوداء الوحيدة التي تعذبها هي فكرة وجود روزالي.

في اليوم التالي، عندما حدثت المحامي عن الدعوة، دهشت بقبوله الحضور بدون اي تردد.

ـ «وكيف ارفض سهرة برفقتك؟» قال ضاحكاً.

ـ «اريد ان اطلب منك خدمة اخرى. اتمنى ان تسمح لي بالتغيب عن المكتب بعد ظهر يوم الخميس كي يتسنى لي اعداد العشاء».

ـ «لماذا؟ هل فيفيان مريضة؟»

ـ «لا، لكنها ليست هنا، لقد سافرت إلى لندن مع

والدي لانهاء مسألة بيع المنزل».

ـ «تعني انك وحيدة في المنزل مع مات؟» سألها وقد جحظت عيناه فجأة.

انفجرت ريتا ضاحكة امام منظر محدثها.

ـ «للحقيقة مات يتصرف بكل لطف وادب ، ولا مجال للقلق من هذه الناحية».

ـ «لكنه رجل، وانت جذابة جداً. لو كنت مكانه لما تمكنت من الامتناع عن استغلال الوضع» قال بحدة.

ـ «يبدو ان رأيك بي ليس بموضعه». قالت مبتسمة.

ـ «ليس الامر كذلك! ولكن يكفي وجود موسيقى هادئة واضاءة خافتة للتأثير على فتاة. ومات ليس غبياً: لماذا لم يجرب حظه معك؟»

ـ «بصراحة، انت تدهشني بروس». انفجرت ضاحكة. لكنها في اعماق كيانها كانت تعرف ان المحامي محق في ما يقوله.

ـ «عندما يتعلق الامر بك انت، اصبح مجنوناً. اوه، لن اتمكن من النوم بسلام طالما ان والديكما ليسا هنا. اليس من باب الحذر أن تستأجري غرفة في احد الفنادق؟»

بدأت ريتا تنزعج من الحاحه على هذا الموضوع.

ـ «هيا، بروس. انا اعرف مات جيداً، واذا حاول التحرش بي، سأعرف كيف أصده، صدقني لا داع للقلق».

لم يلح بروس أكثر، لكن ريتا لاحظة تبدل مزاجه طوال النهار، وعندما دعاها في آخر النهار لقضاء السهرة معه، لم

ترفض لأنها كانت متأكدة انه سيستنتج انها تفضل رفقة مات على رفقته.

ـ «ولكني سأخبر مات كي لا يقلق لغيابي».

إلا انها حاولت مراراً الاتصال به لكن لم يجبها احد. فاستسلمت اخيراً وقالت لنفسها بأن مات قد يكون على موعد هو الآخر ولا يهتم لغيابها.

وعندما رافقها بروس في آخر السهرة إلى منزلها لم يكن مات قد عاد بعد. قضت ساعة في غرفتها غير قادرة على النوم إلى أن سمعت خطواته وقد دخل مباشرة إلى غرفته. شعرت ريتا بخيبة كبيرة، كانت تتمنى أن يدخل غرفتها ويثرثر معها قليلاً، لكنه لم يفعل، ونامت وهي تشعر بألم في قلبها.

جاء اليوم المحدد للسهرة بسرعة كبيرة، فنهضت ريتا باكراً ونزلت الى المطبخ علّها تجد مات. كانت دهشتها كبيرة عندما اكتشفت انه خرج وترك لها رسالة يخبرها فيها انه سيعود نحو الساعة السادسة.

مزقت ريتا الرسالة بعصبية، يبدو أن ماتيوس فانسنت يعتقد ان كل شيء مسموح له به! كان يجب عليه ان يقدم خدماته لا ان ينسحب دون ابداء رأيه بشيء!

ظل مزاجها متعكراً طوال النهار، وعندما عاد ماتيوس استقبلته بحدة:

ـ «انا قبلت ان أساعدك، ولكن كان يجب أن تكون صاحب ذوق وتعود باكراً لتمد لي يد المساعدة!»

لكن مات أجابها بكل برود:

ـ «كنت اعلم انك ستتصرفين على أكمل وجه، وإلا لما حملتك كل هذه المسؤولية. الآن، اذا كان بامكاني ان اقوم بشيء، لا تترددي في الطلب مني».

ـ «فات الاوان الآن، يبدو ان كل الرجال متشابهون».

ـ «ولكن هكذا أنتن تحبوننا». قال ممازحاً، ثم ضمها اليه فجأة:

ـ «عزيزتي ريتا، ارجوك، لا تفسدي هذه السهرة ولا تكوني قاسية علي، انا اعتمد عليك!»

وضمها إليه اكثر وداعب فمه عنقها. على الفور، شعرت ريتا بذلك الاحساس بالضعف الذي تعرفه جيداً والذي يسلبها ارادتها، فاغمضت عينيها للحظات واستسلمت للمسات مات الناعمة، لكنه عندما لاحظ استسلامها تركها واجبرها على النظر إليه، أمسك ذقنها وقال بابتسامة انتصار مشرقة:

ـ «هكذا أفضل بكثير»، وتناول شفتيها المخمليتين وبادلها قبلة حارة.

ـ «هكذا، عيناك مليئتان بالاشراق، ويجب أن تبقيا هكذا طوال السهرة!»

ـ «أهذا أمر؟» سألته بنظرة تحد.

ـ «ليس تماماً... إن وجودي إلى جانبك هذا المساء، يكفي لبقائك مشرقة». واتجه نحو الباب ولكنه توقف قليلاً عند العتبة.

ـ «لا تنسي انني احبك، احبك بجنون». وخرج من الصالون وتركها تتخبط بين الشك واليقين، فكثيراً ما كان

يكلمها هكذا في الماضي! وكانت هي الساذجة تصدقه، أما الآن فما الدليل على صدقه؟ يبدو ان كلمات الحب لا تعني شيئاً بالنسبة له، طالما انه تزوج من امرأة اخرى بعد اسابيع قليلة على هجرها.

طردت هذه الأفكار التي تعذبها من رأسها وانهت آخر الاستعدادات للعشاء، ثم صعدت لتستعد في غرفتها.

بعد تفكير طويل، اختارت ثوباً ازرق بلون البحر مكشوف الكتفين وضيق على الصدر وسرحت شعرها مراراً قبل أن ترفعه تاركة بعض الخصلات تتطاير على وجهها وعنقها ثم زينت وجهها ووضعت عطرها المفضل فأصبحت جاهزة.

نزلت إلى غرفة الطعام وهي تشعر بشيء من التوتر لدرجة انها قبلت كأس البورتو الذي سكبته لتوها. كانت كلما اقترب الوقت تشعر أن السهرة ستكون فاشلة.

جلست تتأمل المائدة التي رتبتها بعد الظهر وكانت معجبة جداً بذوق فيفيان باختيار الاطباق والكؤوس، وابتسمت عندما نظرت إلى الازهار التي رتبتها في وسط الطاولة.

ـ «تبدين راضية؟»

ـ «اعادها صوت مات من افكارها، يا إلهي كم هو فاتن في بنطلونه الغامق وقميصه الفاتح! عندما رأته، احست بأن قلبها سيطير بين ضلوعها.

ـ «أجد أن الطاولة جميلة». اعترفت ببساطة بينما اشرق وجهها بابتسامة صغيرة.

ـ «هذا صحيح»، أجابها مات ضاحكاً، «ولكني أفضل أن انظر اليك انت: انت رائعة حقاً! أشبهك بالملاك أحياناً وبالساحرة التي ستسحر أول من يقترب منها أحياناً أخرى».

ـ «اذاً كن متيقظاً» اجابته بمرح.

ـ «وكيف استطيع؟ يجب أولاً أن أتأكد من انك حقيقية!»

واقترب واجبرها بلطف على الوقوف.

ـ «لا تخافي» قال عندما رآها تحاول الابتعاد «لن أفسد تسريحتك، ولكني ارغب بقبلة قبل وصول ضيوفي».

ما إن تناول فمها حتى احست الفتاة بأن كل جسدها يرتجف، واستسلمت لقبلته وضمته اكثر اليها. لكنها وبسرعة، انتبهت، كانت تريد أن تنجح هذه السهرة ولذلك لا يجب ان تفقد السيطرة على نفسها. فدفعته عنها وقالت متلعثمة.

ـ «اوه، ارجوك، لنتوقف! يجب أن أتفقد الطعام».

ـ «ريتا»، همس بحنان ورغبة. «انت جميلة جداً هذا المساء، أفضل ان تكوني اليوم لي وحدي. ما رأيك لو اتصل بروزالي وألغي حفلة العشاء؟»

ـ «اذا فعلت شيئاً مماثلا، سأجبرك على تناول كل الطعام الذي اعددته».

ضحك مات بسعادة:

ـ «انت اكثر جمالا عندما تغضبي! وكأنك قطة...».

ـ «انا جادة فيما اقول. اتعرف ما ينتظرك لو فعلت؟ اولا كوكتيل من فاكهة البحر يتبعه سمك موسى ثم لحم العجل

المشوي بشوربا النبيذ والفطر والبطاطا والملفوف بالجبن و...»

- «كفى، كفى! قاطعها ضاحكاً، هيا اذهبي إلى المطبخ... سأشرب كأساً في هذا الوقت».

أسرعت ريتا إلى المطبخ لان عنق مشاعرها كانت تخفيها، وهي بحاجة للهدوء. لماذا يربكها مات لهذه الدرجة مع انها متأكدة انه من المستحيل الوثوق به؟ ظلت للحظات واقفة في المطبخ مغمضة العينين وقلبها يدق بكل سرعة. وبجهد كبير، تمكنت من وضع مريول المطبخ على خصرها لتخفق الكريما وتزين قالب الحلوى.

بعد ربع ساعة تقريباً، سمعت مات يرحب بضيوفه، فشعرت بخجل ساندريلا ولم تخرج. بعد قليل، فُتح باب المطبخ وظهر بروس:

- «اذاً انت تختبئين هنا! لا تستقبلي ضيوفك؟»

كان يبدو متوتراً فتساءلت ريتا اذا كان مات قد وجد وسيلة لازعاجه، ومع ذلك اجابته بابتسامة ساحرة:

- «يجب على احدنا الاهتمام بالفرن، ماذا لو احترق الطعام واصبح كالفحم؟»

- «ولكني متأكدة انه بامكانك التملص قليلاً لتشربي كأساً معي». اجابها بنبرة شبه جافة.

خلعت ريتا مريول المطبخ وتأبطت ذراعه وقادته نحو الصالون.

كان مات يقدم المقبلات لضيوفه فعقد حاجبيه عندما رآها تدخل متأبطة ذراع بروس. وما إن انتهى من ضيوفه

حتى اقترب من ريتا:

- «اقدم لك اريكا بوال» قال بلطف «اريكا، اقدم لك ريتا غولندينغ».

- «يسعدني جداً التعرف عليك» قالت اريكا الجميلة صديقة روزالي «لقد سمعت الكثير عنك...»

كان زوجها ايضاً وسيماً ولطيفاً، فشعرت ريتا بالاستلطاف نحوها. اما روزالي فلم تبذل اي جهد للتقرب من ريتا. وما ان انتهت التعريفات حتى وضعت يدها على ذراع مات محاولة لفت كل انتباهه.

بعد قليل عادت ريتا إلى المطبخ لتخفي في صدرها كرهها العميف لروزالي ولتهرب من بروس الذي اخذ يتصرف وكأنه يمتلكها.

لاحظ مات تصرفات بروس، وادركت الفتاة أن السهرة لن تنهي بسلام، ولكن ماذا بامكانها أن تفعل؟ فهذه روزالي تتصرف وكأن صاحب المنزل خطيبها الرسمي وتتعلق به كأنه سيهرب منها. في هذه الظروف، يستحيل على ريتا الكلام معه ويجب أن تكتفي بالحديث مع بروس.

لحسن الحظ كان العشاء ناجحاً وعندما امتلأ المغسل بالاطباق المتسخة اصبح بامكانها ان ترتاح قليلاً، فحملت كأس كونياك بيدها وجلست على الكنبة إلى جانب بروس الذي يكثر من التغزل عليها على غير عادته.

كان مات يجلس على الكنبة الأخرى ولا يرفع نظراته عنها، لاحظت روزالي نظراته إلى ريتا فنهضت على الفور

ومدت يدها نحوه:

ـ «لنخرج ونتنزه قليلاً في الحديقة، يا عزيزي...»

هز مات كتفيه ودعا آل بوال لمرافقتهما فنهضا بدورهما. تمنت ريتا أن يدعوهما مات لمرافقتهم، لكنه لم يفعل فاضطرت للبقاء مع بروس.

ـ «أهنئك زيتا، لقد كان العشاء ممتازاً» قال لها بروس وهو يضع يده على كتفها.

ـ «انه أفضل من العشاء الذي اعددته لي ذلك المساء».

قالت له مبتسمة ثم نهضت واتجهت نحو البار.

ـ «أتريد كأساً آخر؟».

ـ «لا شكراً، لا اريد أن اقطع سحر هذه اللحظات الرائعة معك».

ـ «انت رائعة الجمال هذا المساء».

حاولت ريتا الابتعاد عنه، لكنه اضاف:

ـ «لا، أنا صادق فيما اقول، انت جميلة وارغب بأن اضمك بين ذراعي وان احبك بشوق...»

تفاجأت ريتا لأن من عادة بروس ان يقيس كلماته وهو اليوم مختلف تماماً.

ـ «بروس، أحقاً لا تريد أن تشرب كأساً آخر؟»

ـ «اريد أن أقبلك قبل عودة الضيوف».

ـ «ارجوك بروس، لا تفسد هذه السهرة، لماذا لا تنضم إلى الآخرين؟»

ـ «لماذا؟ فأنا منذ وصولي اتحرق للذة اللحظات. انت جميلة، اريدك، هل تخافين من مات؟»

ـ «بالتأكيد لا! فأنا كبيرة وافعل ما يعجبني».

ـ «اذاً انت لا تحبين قبلاتي؟ سألها بحزن وحرارة.

ـ «أنا لم أقل شيئاً من هذا...».

ـ «لكنك تفكرين به بدون شك».

بالفعل كانت تريد أن تستلطف بروس لكنها لا تتحمل قبلاته ولذلك لا ترى ضرورة لاعطائه آمالاً كاذبة.

ـ «لماذا لا تساعدني في غسل الاطباق؟» سألته متظاهرة بالضحك. ولا يمكنني غسلها كلها وحدي».

ـ «سيساعدك مات». اجابها بحدة. «انا متأكد انك تفضلين مساعدته لك على مساعدتي».

ـ «لماذا تقتحم مات في كل حديث؟ سبق وشرحت لك انه لا يعني شيئاً بالنسبة لي!».

ـ «انت حر!» صرخت غاضبة، وسرعان ما ندمت لأن بروس بدا مصدوماً خائباً.

ـ «أنا آسفة، بروس، لم اكن اريد أن اجرحك، لكنني اردت ان تتوقف عن الكلام عن مات».

ـ «الذنب ليس ذنبي: انا اتعذب كثيراً من فكرة وجودكما وحدكما في هذا المنزل. لاحظت كيف كان يتأملك، ان نظرته لا تخدع احداً، لو كنت مكانك لحذرت منه: قد يعتدي عليك ويغتصبك عند رحيل الضيوف».

ـ «بروس!» صرخت غاضبة وقد فقدت اعصابها.

ـ «هذا صحيح، ريتا، لو كنت مكانك لفعلت...».

ـ «لا بد ان ارادته اقوى من ارادتك». قاطعته رافضة الاستماع إلى المزيد.

ـ «ألا تدركين لأية درجة انت جذابة ومغرية؟ اوه، ريتا. . .» وامسكها بين ذراعيه واخذ يقبلها بوحشية.

ـ «توقف، بروس، توقف!» صرخت بيأس وخوف.

لكنه كان يبدو وكأنه لا يسمعها، وبسرعة وجدت نفسها ممددة على الكنبة وبروس يلقي بجسده عليها.

توسلت إليه قاومته، لكنه لم يصغي اليها، يبدو أن رغبته بها طغت على كل حواسه الأخرى.

فجأة قطع وقع خطوات حمية بروس الكبيرة، فالتفت نحو الباب واحست ريتا بخديها يشتعلان: امام الباب، يقف مات وقد اكفهر وجهه وهو ينظر اليهما باحتقار شديد.

ظلت ريتا منهارة بعد رحيل الضيوف وبعد المشهد الذي حصل بين مات وبروس. ورفض مات تصديقها واتهمها بانها كانت تشجع بروس.

ـ «الا تشعرين بالعار بعد هذا المشهد امام اصدقائي؟ مع انك كنت تعلمين اننا سنعود بين لحظة وأخرى!»

ـ «صدقني، انا لم أشجعه و. . .»

ـ «لم تشجعيه؟ وكذلك لم تدفعيه عنك». اجابها بكل احتقار. ما نفع النقاش؟ انه مصمم على عدم تصديقها فلم تجبه واكد صمتها اتهامات مات.

الآن هي متعبة ومنهارة تجلس على الكنبة في الصالون تفكر بمرارتها:

الحياة ستكون مستحيلة من الآن وصاعداً مع مات، لن يتركها دقيقة بسلام وسيفعل كل ما بوسعه ليجعلها تترك عملها.

خلعت حذاءها ورفعت ساقيها على الكنبة غير عابئة بثوبها. شيئاً فشيئاً غلبها التعب والنعاس فنامت.

استيقظت مع ساعات الفجر الأولى وهي تشعر بالبرد والألم، فنهضت مسرعة وقد تذكرت المغسل الممتلىء الذي ينتظرها في المطبخ.

«آه لو لم يحدث ذلك المشهد الحقير مساء امس».

فكرت وهي تضع المريول على خصرها.

وكي لا توقظ مات، حاولت جهدها أن لا تصدر أي ضجيج قدر الامكان. لكنها تفاجأت بباب الدخول يفتح فجأة بعد قليل وبدخول مات إلى المطبخ.

ـ «كنت اعتقدك لا تزالين نائمة». قال عندما رآها تنظف الاطباق، «اصعدي وبدلي ملابسك بينما اهتم انا بهذا العمل».

لم تحاول مناقشته: فالجو ملبد بينهما، وهي لا تريد أن تضيف أسباباً اخرى لغضبه منها.

ـ «شكراً»، قالت وهي تنشف يديها. «لن أتأخر» وغادرت المطبخ بسرعة.

استحمت وارتدت بنطلون جينز وبلوزة قطنية وسرحت شعرها قبل أن تعقده إلى أعلى. وبعد ربع ساعة كانت مستعدة لمواجهة مات.

كان قد انتهى من غسيل الاطباق فأسرعت ترتبها في اماكنها. ما إن انتهت حتى تطرق مات إلى الموضوع.

ـ «ألا تنوين الذهاب إلى العمل اليوم؟»

ـ «ولم لا؟»

- «وبروس، ماذا ستفعلين به؟»

عندما لفظ هذا الاسم، كان صوته مليئاً بالكراهية، لكن الفتاة قررت ان لا تضعف امامه:

- «بروس هو مديري». قالت بجفاف.

- «مدير لا يعرف كيف يعيش! لم يكن يجب عليه ان يتصرف هكذا مع سكرتيرته، وخاصة عندما يكون ضيفاً. ان ما فعله معك عندما كنت في منزله ليس مهماً أمام ما فعله هنا، كان يجب أن يكون مهذباً عند الآخرين»

- «ماذا تقول؟» أتقصد أنني على علاقة ببروس؟»

- «قلت فقط ان مديرك لم يحافظ على اصول اللياقة».

- «انت رجل مستحيل!» صرخت ريتا وقد ضاقت ذرعاً به. «ارفض ان استمر بالعيش معك تحت سقف واحد. سأبحث لي عن غرفة في احد الفنادق هذا اليوم».

- «ستجدين صعوبة لاننا في عز موسم الاجازات. اذا كنت تنوين الاقامة عند بروس، فاعلمي انني سأعيدك إلى هنا شئت أم أبيت، لا تنسي ان والدك عهد بك إلي قبل رحيله».

- «انا لم افكر ابداً بالاقامة عند بروس. لدي اخلاق اكثر مما تتصور! الآن، اذا كنت جائعاً تناول فطورك وحدك، اما أنا، فقد اكتفيت من رؤيتك!»

واسرعت الى غرفتها وهي ترتجف من الغضب.

عندما حان موعد الذهاب إلى العمل، نزلت مباشرة إلى المرسى دون أن تهتم لمات... لكن بروس تأخر،

واعتقدت الفتاة انه لن يتأتي، وشعرت بالمرارة عندما رأت مات يقترب منها.

- «يبدو انه نسيك، ريتا العزيزة! ماذا ستفعلين الآن؟»

- «لا تقلق، سيمر بروس لاصطحابي» قالت بثقة مع انها لا تشعر بها.

- «انت متأكدة؟» قال مات وهو ينظر إلى الافق». هل وعدك بذلك قبل رحيله مساء أمس؟»

«وكيف كان سيفعل ذلك وانت تطرده وتصرخ بوجهه. لو كان لديه ما يمنعه من المجيء لكان اتصل بي».

- «يبدو انك تثقين به ثقة عمياء» قال بسخرية.

لم تكن ريتا ترغب بالنقاش اكثر معه فلم تجبه، وشعرت بالراحة عندما لاح مركب بروس الابيض من البعيد.

كان مات قد رآه ايضاً، فابتعد وصعد إلى مركبه وانطلق به بسرعة.

صعدت ريتا إلى مركب بروس وهي تشعر بالارتباك، ومع ذلك ابتسمت لبروس.

- «صباح الخير».

- «انا آسف لانني تأخرت». قال بلهجة طبيعية وكأن شيئاً لم يحدث بالامس. «لقد واجهتني صعوبة في تشغيل محرك المركب هذا الصباح...»

استندت ريتا على الدرابزين تتأمل البحر ولم يختف ارتباكها بعد.

- «اتمنى ان لا تكوني قد واجهت موقفاً صعباً مساء

امس».

التفتت نحوه وتظاهرت بعدم الاهتمام.

ـ «مات لم يكن مسروراً ابداً، وهو لم يكن مخطئاً تماماً لقد كان تصرفك غير مناسب».

ـ «ومن يدعي العكس؟» قال مبتسماً بمرح. «ولكن اذا كنت انا المخطىء فهذا لأنك كنت مثيرة جداً. اقتربي مني، فأنا لم أقبلك بعد».

اقتربت منه وأدارت له خدها.

ـ «ألم يكفيك ما أخذته بالامس؟» وحاولت السيطرة على اعصابها.

ـ «أنا لا أفهم، هل انت معاتبة؟».

ـ «أكون سخيفة اذا عاتبتك على لحظة ضياع منك. لا، بروس، لكنني اعتقد ان الوقت والمكان ليسا مناسبين، واذا كنت تشعر بالخيبة فأنا آسفة حقاً».

ـ «للأسف، الحياة مليئة بالمرارة وخيبات الامل. ولكن، اذا تركت لي فرصة، سأعرف كيف أكون صبوراً».

لحسن الحظ كان لديها عمل كثير هذا اليوم مما لم يسمح لها بالتفكير بمشاكلها الشخصية. كانت الساعة تشير إلى الخامسة عندما دخل مات فجأة إلى مكتبها. اعتقدت اولاً انه جاء ليصطحبها ويتأكد من انها لن تفكر بالمبيت في الفندق، فانفجرت غاضبة في وجهه.

ـ «لماذا أنت هنا؟» ألا تثق بي؟»

لكن ما إن انهت عبارتها حتى لاحظت ملامح الحزن على وجه مات.

ـ «ماذا. ماذا حصل؟ سألته بقلق. «أهناك شيء ما لا يسير على ما يرام؟»

اقترب منها وأمسك كتفيها بحنان واعترف:

ـ «تشجعي ريتا... لقد تعرض والدك لحادث مؤسف».

على الفور احست ريتا بالارض تدور حولها، وتلعثمت وهي تنظر إلى عيني مات:

ـ «انه... انه...»

عندما لم يجبها مات، صرخت:

ـ «اوه، ارجوك، قل لي الحقيقة!»

ـ «لقد تعرض لحادث سيارة، وهو بحالة الخطر...»

بهذا الوقت دخل بروس واعتقد ان مات يسيء التصرف مع ريتا وهم بطرده، لكن مات أوقفه بحركة من يده:

ـ «لقد اخبرت ريتا لتوي بأن والدها تعرض لحادث سيارة وهو بحالة الخطر. وهي منهارة الآن».

هدأ المحامي على الفور.

ـ «أيمكنني أن أفعل شيئاً؟»

ـ «لا، شكراً، لا اعتقد ذلك، لكن ريتا مضطرة للذهاب إلى ريدينغ، ولن تتمكن من العمل لبضعة ايام».

ـ «هذا ليس مهماً، لا تقلقي ريت، ستجدين مكانك محفوظاً لدى عودتك».

خرجت ريتا مع مات وهي تكاد لا ترى امامها.

ـ «من الافضل ان تسافري غداً»، قال لها مات عندما اصبحا في الشارع. «الوقت متأخر الآن وستصلين الى

ريدينغ متعبة. كما وانك قد ترغبين باخذ بعض الاغراض من المنزل».

ـ «سأفعل ما تشاء»، تمتمت بضعف. على كل حال، لن اتمكن من النوم هذه الليلة. ابي المسكين... كيف حصل ذلك؟»

ثم انتفضت واحست بالذنب وصرخت:

ـ «وفيفيان؟ اوه، انا آسفة لانني لم افكر بها حتى الآن!

ـ «هل اصيبت ايضاً؟»

ـ «اصابتها خفيفة لحسن الحظ».

ـ «انا سعيدة لاجلها ولكن ابي المسكين...» واجهشت بالبكاء. لم تغمض عينيها هذه الليلة، كانت قلقة جداً ومات لم يعطها تفاصيل اكثر عن حالة والدها. ولكنها كانت تعلم انه بحالة الكوما الاغماء وبان فريقاً من أمهر الاطباء يشرفون ويساعدونه على المقاومة ضد الموت.

نهضت باكراً في اليوم التالي ووجدت مات قد سبقها إلى المطبخ. وقد انتهى من اعداد الفطور. لم تكن ريتا تشعر بالجوع، لكنه الح عليها كي تأكل قليلاً، فاطاعته وبعد قليل استقلا المركب الى محطة الطائرات المروحية في سانت ماريز. عندما رأته ريتا يشتري بطاقة سفر واحدة سألته بدهشة:

ـ «ألن ترافقني؟»

ـ «لا... فيفيان ستهتم بك».

فابتسمت له بضعف:

ـ «هذا صحيح، كنت قد نسيت...»

ولكن في اعماق نفسها، كانت تشعر بالخيبة. لكن ما إن اقلعت الطائرة المروحية إلى ريدينغ فكانت تبدو طويلة جداً، ما إن وصلت إلى المحطة حتى استقلت سيارة اجرة حتى المستشفى. وفور وصولها ادخلتها احدى الممرضات إلى غرفة والدها فوجدت ان فيفيان لم تفارقه ابداً. اما والدها فكان رأسه محاطاً بالضمادات ووجهه شاحب كالاموات. احست ريتا بالدموع تسيل على خديها وتخنق حنجرتها. فنظرت إلى فيفيان فوجدت نظراتها يائسة وجبينها مغطى بقطعة من الشاش.

نهضت فيفيان وقبلت الفتاة وهمست بأذنها:

ـ «انا سعيدة لانك اتيت اخيراً! لنخرج إلى الممر حيث نتمكن من الكلام. ألم يأت مات معك؟»

هزت ريتا رأسها بالنفي امام دهشة فيفيان ورافقتها إلى الخارج.

ـ «مسكين ابي، سيشفى اليس كذلك؟ كلميني عن الحادث: كيف وقع؟»

ـ «كل شيء حصل بسرعة ولم يتسن لي الوقت لأفهم. كنا خلف شاحنة توقفت فجأة. والدك كان يقود بحذر كعادته، فاوقف السيارة في الوقت المناسب لكن السيارة التي كانت خلفنا كانت مسرعة فصدمتنا ورمتنا على الشاحنة، فاصطدم رأس والدك بالزجاج الامامي واصطدم صدره بالمقود».

ـ «ما هي فرصته في الشفاء؟» سألتها الفتاة بقلق.

ـ «فرصته ضئيلة جداً، ليس امامنا سوى الأمل

والصلاة».

بعد ساعات قليلة، فارق باتريك غولدينغ الحياة واصيبت زوجته فيفيان التي لم يمض على زواجه منها سوى بضعة اسابيع اصيبت بنوبة عصبية مما اضطر الطبيب لاعطائها حقنة مهدئة. اما ريتا فكان حزنها بالغاً وانقلب ثورة داخلية على هذا القدر الذي حرمها من امها وابيها ومن حبيبها. وفي المساء اتصلت بمات واخبرته بوفاة والدها فعبر لها عن حزنه الشديد وكان لطيفاً معها.

قررت ريتا ان لا تعود إلى جزيرة الستار، خاصة وأن المنزل لم يباع بعد وقررت ان تبحث عن عمل لها في ريدينغ بعيداً عن مات وعن بروس.

حضر مات دفن والدها ولكنه عاد في نفس اليوم واصطحب فيفيان معه. وكانت والدته قد حاولت جهدها ان تقنع ريتا بالعودة معهما، لكن مات لم يشترك بالحديث وبقيت ريتا مصممة عل البقاء هنا، فهذا سيساعدها على نسيانه.

مضت ثلاثة اسابيع، وريتا لم تجد عملاً بعد وقد انهارت نفسيتها وتغلب اليأس عليها، كانت ريتا وفيفيان تتصلا باستمرار، لكن مات لم يتصل بها ابداً وكانت تقضي الليالي بدون نوم محاولة عبثا اقناع نفسها بأن الامور أفضل هكذا، وانها ستتمكن يوماً من نسيان حبها التعيس.

في هذه الفترة اليائسة اتصل بها المحامي وقال لها بانه منح نفسه اجازة اسبوعين وبأنه يرغب بزيارتها، فاجابته بانها ترحب به ساعة يشاء لأنها كانت تتألم من وحدتها

وتبحث عن وسيلة تنسيها همومها.

وصل بروس بعد ظهر يوم السبت وكان انيقاً جداً، وما إن دخل منزلها حتى ضمها إليه وغمر وجهها بالقبل.

ـ «لقد افتقدتك كثيراً.

ـ «انا سعيدة برؤيتك بروس، تفضل».

ـ «تبدين شاحبة، ألا تنامين جيداً».

ـ «لقد صدمني موت والدي كثيراً، لكني سأتحسن مع الايام».

ولم يكن بامكانها ان تعترف له بأن غياب مات هو سبب قلقها وارقها. امسك بروس يدها ونظر إلى عينيها بحنان فأحست ان مشاعره نحوها لم تتغير، وتساءلت اذا كانت قد اخطأت بقبول زيارته. ولكن مات اختفى من حياتها، فلماذا لا تمنح بروس فرصة؟ ربما تتمكن من حبه ذات يوم.

ـ «ماذا تنوين ان تفعلي هذا المساء؟ لقد استأجرت سيارة فور وصولي وبامكاني اصطحابك إلى أي مكان ترغبين الذهاب اليه».

ـ «اوه، ارغب بالذهاب إلى الريف...».

ـ «رغباتك اوامر، يا عزيزتي».

وعندما عاد من الفندق ليصطحبها مساءً، كانت قد ارتدت ثوباً أخضر جميلاً وسرحت شعرها وتركته يسترسل على ظهرها. قاد بروس سيارته طوال الطريق إلى الريف بصمت حتى وصل إلى طريق فرعي فأوقف السيارة والتفت نحوها واحاط كتفيها بذراعه.

- «اريد أن اطلب منك شيئاً. كنت اتمنى لو استطيع الانتظار اياماً اخرى، لكني لم اعد قادراً على الصبر. اتقبلين الزواج مني؟» وضمها إليه واضاف: «انا أعلم انك لا تحبينني ولكن ربما تتعلمين ذلك مع الوقت».

- «بروس... انا... لست ادري بماذا اجيب».

وتساءلت لماذا ترفض الزواج من بروس، انها متأكدة انه لن يتمكن من تحريك انفعالاتها كما يفعل مات، الا انه سيجعلها سعيدة....

- «ريتا اقبلي الزواج مني، سأحاول اسعادك وانا متأكد انك ستحبينني بعد الزواج».

- «بروس، انا موافقة».

- «حقاً، يا عزيزتي؟ اذاً لنتزوج في اسرع وقت ممكن، لقد سبق وانتظرنا طويلاً».

- «ولكن، لدينا متسع من الوقت، ويجب ان استعد للزواج...».

- «سأهتم بكل شيء، سأعود غداً صباحاً إلى الجزيرة لأهتم بالأوراق واعود بأسرع وقت ممكن». قال بلهفة وكأنه يخشى ان تغير رأيها.

بعد رحيله بكت ريتا طويلاً. انها لا تفكر الا بمات الذي لو طلب الزواج منها لرفضت بالتأكيد، لانه لا يستحق ثقتها.

في اليوم التالي ارسلت برقية لفيفيان تخبرها فيها عن زواجها القريب، فهذا أقل ما يمكن ان تفعله طالما ان فيفيان كانت زوجة ابيها.

عاد بروس في مساء اليوم التالي واخبرها انه انهى كل ما يلزم وانهما سيتزوجان يوم الثلاثاء القادم.

- «هذا يمنحك الوقت لشراء ثوب الزفاف» ولكنه اضاف امام صمتها وشرودها:

- «ما بك يا حبيبتي، الست سعيدة؟»

- «بلى، ولكن كل شيء حصل بسرعة».

- «احبك، ريتا، واعلم انك ستحبينني ذات يوم».

- «سأبذل جهدي، اقسم لك».

كانت صادقة، لكنها كانت تتساءل في اعماق قلبها اذا كانت ترتكب خطأً بقبولها ان تصبح زوجة بروس.

لم يصلها رد على البرقية التي ارسلتها لفيفيان، وكانت تعلم انها لا تستلطفه، وتساءلت هل علم مات بانها ستتزوج؟ واذا علم، هل سيثور غضباً أم سيتجاهلها كما يتجاهلها الآن؟

استيقظت في اليوم التالي وهي تشعر بصداع قوي، فاتصلت ببروس في الفندق وطلبت منه ان لا يمر لاصطحابها قبل الظهر لانها ستنام حتى الظهر. ولكن ما إن اقفلت السماعة حتى رن جرس الباب. من يمكنه ان يأتي في هذه الساعة المبكرة؟

كانت دهشتها كبيرة عندما اكتشفت مات يقف امام الباب ووجهه يعجز عن تحمله اكثر.

دخل بعنف إلى المنزل ونظر اليها بحدة وصرخ:

- «اين هو؟»

- «من؟ هذا ليس اسلوبا تدخل فيه المنزل بدون

استئذان!»

ـ «انت تعرفين جيداً عمن اتكلم!» قال وهو ينظر اليها باحتقار. «اين هو بروس ناديه والا سأبحث عنه بنفسي، لا بد انه في غرفتك!»

ـ «ما هذه الجرأة!» كيف تجرؤ؟ اذا كان هذا هو رأيك بي، فاخرج على الفور، اتسمعني؟ بروس ليس هنا، واذا كان هنا، فأنا امنعك من رؤيته وانت بهذه الحالة».

ـ «اذاً كان لا يقيم هنا فهذا امر يشرفك».

ـ «شكراً». قالت له بجفاف.

ـ «اتفكرين حقاً بالزواج منه؟»

ـ «ستتزوج يوم الثلاثاء القادم، اذا كنت تريد حضور الزفاف فانت مدعو بكل محبة. اتمنى ان تحضر فيفيان ايضاً، كتبت لها اخبرها بزواجي، لكنها لم تجيب...»

وسكتت فجأة، لأنها لا تستطيع النظر إلى وجهه اكثر. لقد فاض قلبها بالرغبة في ان ترمي نفسها على صدره وتداعب شعره... نعم، انها تحبه ولن يحل أحد آخر في قلبها مكانه.

ـ «جئت بنفسي لأحمل لك جوابها. انا وفيفيان نرى بأن بروس ليس الرجل المناسب لك. واذا لم تخبريه بنفسك بانك تلغين الزواج سأتكفل انا بالأمر».

ـ «سأتزوج من بروس، ولن تمنعني».

ـ «دعني!» وحاولت الابتعاد عنه، لكنه ضمها اليه اكثر وما إن تناول شفتيها حتى ضاعت مقاومتها واستسلمت لقبلته المجنونة، بعد ان ترك شفتيها، أسند رأسها إلى كتفه

وداعب شعرها بحنان بالغ.

ـ «لا يجب أن تتزوجي من بروس». همس باذنها.

ـ «وماذا يمكنني ان افعل غير ذلك؟» سألته بيأس.

ـ «تزوجي مني انا».

ـ «انت تعلم ان هذا مستحيل، فأنا لم أعد أثق بك».

ـ «ولكنك لا تزالين تحبينني، أليس كذلك؟»

اكتفت بأن هزت رأسها بحزن.

ـ «اذاً، حان الوقت لاخبرك كل الحقيقة، «وجذبها إلى الصالون فأجلسها على الكنبة ووقف يتكلم امام النافذة.

ـ «اليك القصة: كنت قد تعرفت على ماريا في المدرسة الثانوية، وكانت اول فتاة خرجت معها، ولكن لم يكن هناك شيء جدي بيني وبينها، هذا على الاقل من جهتي أنا. ثم رحلت إلى لندن لأتابع دراستي الجامعية، ونسيت ماريا تماماً عندما التقيت بك. أحببتك بجنون واردت الزواج منك».

ـ «اذاً لماذا اختفيت؟» صرخت وعيناها تتلألآن بالدموع. «لماذا حطمت قلبي؟»

ـ «سأخبرك، انتظري». واقترب من الكنبة «بعد رحيلي، بدأ بروس يدعو ماريا للخروج معه، هذا لم يكن يهمني لأنني اغرمت بك انت، ثم حصل ان خطبها بروس».

ـ «وماذا حصل؟ تشاجرا؟»

ـ «قبل موعد الزواج بقليل، اكتشف الاطباء ان ماريا مصابة بمرض لا شفاء منه. وما ان اكتشف بروس مرضها حتى ابتعد عنها ولم يعد يرغب بالزواج منها، يا له من

رجل حقير! وعندما دخلت ماريا إلى المستشفى لاجراء العملية، كانت لا تتوقف عن مناداتي باسمي، فكتبت لي والدتي كي آتي لزيارتها. عندئذ فقط علمت ان ماريا لا تزال تحبني».

- «اذاً تزوجتها!» قالت ريتا بصوت مرتجف.

- «وماذا كان بامكاني أن أفعل غير ذلك؟ فهي تجهل كل شيء عنك. فاخبرتها انني كنت انوي العودة اليها وانني لم اتوقف عن التفكير بها، كنت اريدها ان تعيش أياماً من السعادة قبل وفاتها.

- «ولكن لماذا لم تقل لي شيئاً، لكنت فهمت وانتظرت!».

- «حقاً؟ كانت تلك مجازفة، ففضلت ان اقطع علاقتي بك، ربما كنت مخطئاً ولكن...»

- «كيف امكن لبروس ان يتصرف هكذا؟»

- «لست ادري... كل ما اعلمه انه رجل حقير لا يستحقك».

- «ولماذا لم تخبرني بقصة ماريا من قبل؟»

- «حاولت ان احذرك منه، لكني لو قلت لك الحقيقة لما صدقتني. كنت مقتنعاً انك تحبين بروس وانك لا تشعرين نحوي الا بالانجذاب الجسدي، ولكن عندما اخبرني عن نيته بالزواج منك...».

- «ماذا؟» سألته بدهشة. «ومتى قال لك ذلك؟»

- «مباشرة بعد رحيلك. كان سعيداً جداً باخباري بنبأ خطوبتكما».

- «يا له من وغد! فهو لم يكلمني عن الزواج في ذلك الوقت. ولكن، مات، لماذا تأخرت في المجيء؟لا

- «حبيبتي، كنت يائساً: فأنت لم تكوني تريدينني وكنت تتجنبيني، وقلت لي بصراحة انك تكرهينني، كنت اتمنى ان انساك...»

- «اوه، مات!» ورمت نفسها بين ذراعيه. «كم كنا أحمقين!»

- «هذا صحيح!» قال مبتسماً ولكن هذا انتهى الآن، ليس كذلك؟ اريدك ان تكوني سعيدة معي، ان تبادليني الحب الذي اكنه لك، ستكونين حبيبتي وزوجتي وام اولادي، ريتا، عديني انك ستحبينني دائماً».

- «اوه، مات» ورفعت رأسها لتبحث عن دفء شفتيه.

وبعد قبلة طويلة، رفعت رأسها مشرقة بالسعادة وسألته بتردد:

- «هل كنت ستبحث عني لو لم تجمعنا الصدفة في جزر سيلي؟» تأملها مات بحنان بالغ.

- «وهل تشكين في ذلك؟ كما وانني اخشى ان تكوني قد تزوجت من رجل آخر!»

- «انت تعلم ان قلبي وروحي وجسدي ملك لك منذ أن التقيت بك اول مرة!» همست باذنه وعيناها مشرقتان بالحب.